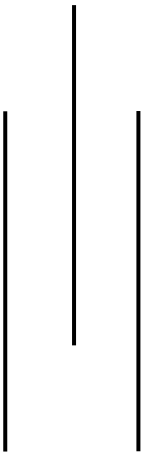

شرح الحكم الحدادية

شرح الحكم الحدادية

تَأليف الشيخ العلاَّمة

محمد حياة السندي المدني

(ت ١١٦٣هـ)

تحقيق

نزار حمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الحكيم الحَكَم، الغنيّ الأكرَم، باعثِ النبيِّ محمد ﷺ بجوامع الكَلِم وبدائع الحِكَم، وجاعله للناس بشيراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله المطهرين تطهيراً، وصحبه الكرام المنورين بأنوار حِكَمه تنويراً.

وبعد؛ فقد قال الله ﷻ في معرض الامتنان على خلقه: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحِكْمَةُ في أدق معانيها وأشملها هي العلمُ بالأشياء كما هي، والعملُ بالأمور على ما ينبغي، فهي منحصرة في القوة العِلمية والقوة العمَلية.

ولا شك أنّ إرادة الله ﷻ قد تعلقت بإيتاء الحكمة للرسل والأنبياء عامة، وخصوصاً خاتمهم وجامع فضائلهم وحاوي مناقبهم سيدنا ونبينا محمد ﷺ، ولذا كان عليه الصلاة والسلام كامِلًا في قوَّتيه العِلمية والعَملية، مكمِّلا لغيره فيهما؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولله دَرُّ الإمام الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ القائل في معرض استدلاله على نبوة

سيدنا محمد ﷺ إذ جلَّى بعض جوانب هذا المقام فقال: «الكَمَالُ وَالتَّكْمِيلُ إِنَّمَا يُعْتَبَرُ فِي القُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَفِي القُوَّةِ العَمَلِيَّةِ، وَرَئِيسُ الكَمَالاَتِ المُعْتَبَرَةِ فِي القُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى، وَرَئِيسُ الكَمَالاَتِ المُعْتَبَرَةِ فِي القُوَّةِ العَمَلِيَّةِ طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى، وَكُلُّ مَنْ كَانَتْ دَرَجَاتُهُ فِي كَمَالاَتِ هَاتَيْنِ المَرْتَبَتَيْنِ أَعْلَى كَانَتْ دَرَجَاتُ وِلاَيَتِهِ أَكْمَلَ، وَمَنْ كَانَتْ دَرَجَاتُهُ فِي تَكْمِيلِ الغَيْرِ فِي هَاتَيْنِ المَرْتَبَتَيْنِ أَعْلَى كَانَتْ دَرَجَاتُ نُبُوَّتِهِ أَكْمَلَ.

إِذَا عَرِفْتَ هَذَا فَنَقُولُ: إِنَّ عِنْدَ مَقْدَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ العَالَمُ مَمْلُوءاً مِنَ الكُفْرِ وَالفِسْقِ؛ أَمَّا اليَهُودُ فَكَانُوا فِي المَذَاهِبِ البَاطِلَةِ فِي التَّشْبِيهِ وَفِي الافْتِرَاءِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَتَحْرِيفِ التَّوْرَاةِ قَدْ بَلَغُوا الغَايَةَ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَقَدْ كَانُوا فِي القَوْلِ بِالتَّثْلِيثِ وَالأَبِ وَالابْنِ وَالحُلُولِ وَالاتِّحَادِ قَدْ بَلَغُوا الغَايَةَ، وَأَمَّا المَجُوسُ فَقَدْ كَانُوا فِي القَوْلِ بِإِثْبَاتِ إِلَهَيْنِ وَوُقُوعِ المُحَارَبَةِ بَيْنَهُمَا وَفِي تَحْلِيلِ نِكَاحِ الأُمَّهَاتِ وَالبَنَاتِ قَدْ بَلَغُوا الغَايَةَ.

أَمَّا العَرَبُ فَقَدْ كَانُوا فِي عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَفِي النَّهْبِ وَالغَارَةِ قَدْ بَلَغُوا الغَايَةَ، وَكَانَتِ الدُّنْيَا قَدْ صَارَتْ مَمْلُؤَةً مِنْ هَذِهِ الأَبَاطِيلِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ وَقَامَ يَدْعُو الخَلْقَ إِلَى الدِّينِ الحَقِّ انْقَلَبَتِ الدُّنْيَا مِنَ البَاطِلِ إِلَى الحَقِّ، وَمِنَ الكَذِبِ إِلَى الصِّدْقِ، وَمِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ، وَبَطَلَتْ هَذِهِ الكُفْرِيَّاتُ وَزَالَتْ هَذِهِ الجَهَالاَتُ فِي أَكْثَرِ بِلاَدِ العَالَمِ وَفِي وَسَطِ المَعْمُورَةِ، وَانْطَلَقَتِ الأَلْسِنَةُ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتَنَارَتِ العُقُولُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجَعَ الخَلْقُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا إِلَى حُبِّ المَوْلَى بِقَدْرِ الإِمْكَانِ[1].

(١) معالم أصول الدين (ص ١١٧، ١١٨) تحقيق نزار حمادي، ط١، دار الضياء ـ الكويت.

وقد تطلق الحكمة أيضا على كُلِّ كلامٍ وافق الحق الواقع الثابت في نفس الأمر، ولعله من معانيها المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، ولا شك أيضا في اشتمال كلام نبينا محمد ﷺ على أوفر حظ مِن الحكمة في أقواله وأمثاله التي دعا بها إلى عبادة الله تعالى، ثم اقتبس أصحابه رضوان الله تعالى عليهم وعلماءُ أمته أنواراً من مشكاة نبوَّته فصدرت عنهم الحِكَمُ القولية التي يهتدي بها الراغبون في اجتناب الخلل والعطب في جميع جوانب الحياة العلمية والعملية خصوصاً فيما يقرب إلى الله تعالى.

وقد كان من بين أولئك العلماء الأبرار الذين آتاهم الله الحِكمَة العِلمية والعَملية والقولية سيدنا الشيخ الإمام قطب الدعوة والإرشاد عبد الله بن علوي الحداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد اجتمع له مع شرف النسب أشرف العلم، فدعا إلى الله تعالى على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، بقلبه وحاله ولسانه وقلمه، فصدرت عنه المعارف الموفورة والحِكم المنثورة، ومن بينها هاته الحكم التي نقدم لشرحها الذي كتبه الشيخ العلَّامة المشهور بالصلاح والفضل محمد حياة السندي المدني رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد مزجها بكلمات قرَّبت إلى العامة معانيها وذللت سبل الاستفادة بمضامينها، وها نحن بفضل الله تعالى وحسن عونه نقدم المتن والشرح لمحبي الحِكمة ولكل من يريد العون على سلوك الصراط المستقيم، داعين الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهما جميع المسلمين بفضله وكرمه إنه هو الرحيم الكريم.

✍ كتبه

نزار حمادي

ترجمة مختصرة

للإمام عبد الله الحداد

هو الشيخ الإمام العلامة قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد الشريف الحسيني الشافعي.

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إمام أهل زمانه، داعيا إلى الله بقوله وفعله وسرِّه وإعلانه، مناضلًا عن الملة الحنيفية بقلمه ولسانه.

ولد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإحدى ضواحي مدينة «تريم» بحضرموت ليلة الخميس الخامس من صفر عام (١٠٤٤هـ)، فتربى فيها ونشأ ديِّناً خيِّراً مجتهداً في طلب العلوم النافعة، ولم يكن انكفاف بصره في الرابعة من عمره مانعاً له من النبوغ العلمي، بل قد عوضه الله عَزَّ وَجَلَّ بصيرة نافذة وقلبا واعيا فعكف على والده والعديد من علماء عصره فحفظ العلوم النافعة وأتقنها.

ولم يزل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعمل بما تعلّم حتى أنطقه الله بالحكمة فانتصب يدعو إلى الله ويرشد إلى سبُل طاعته ومرضاته بالحكمة والموعظة الحسنة، فأقبل عليه الناس وانتشر صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني، فأرشد الجم الغفير وانتفع به الكثير، وانتشرت دعوته في كل مكان.

ولم يقتصر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بمفهوم ضيق، بل كان معتنيا بالشأن العام، يصلح بين القبائل والعشائر، ويوجه الحكام في أمور الحُكم

بالنصائح والمكاتبات، فكان فاعلا في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والدينية، شأنه في ذلك شأن العلماء الربانيين الذين يعملون بما علَّمهم الله تعالى وينفعون الناس جميعاً.

ترك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مؤلفات كثيرة أغلبها في مجال الدعوة إلى الله وكيفية السلوك إلى ملك الملوك عَزَّوَجَلَّ، فجمعت النصائحَ والمواعظ والحِكَم، وانتشرت انتشار كبيراً وكتب لها القبول ونفع الله بها كثيراً الناس، حتى إن بعضها قد تُرجِم في هذا العصر إلى لغات أجنبية كالإنجليزية والفرنسية.

فمن مؤلفاته وأكثرها مطبوع:

- النصائح الدينية والوصايا الإيمانية.
- الدعوة التامة والتذكرة العامة.
- رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة.
- الفصول العلمية والأصول الحكمية.
- سبيل الادكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار.
- رسالة المذاكرة.
- رسالة آداب سلوك المريد.
- كتاب الحكم (وهو الذي نقدم له ولشرحه).
- النفائس العلوية في المسائل الصوفية.
- إتحاف السائل.

* عقيدة الإسلام.

* الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم.

* مكاتبات (تخرج في مجلدين).

وبعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والجهد الدعوي توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشية يوم الثلثاء سابع ذي القعدة من عام (١١٣٢هـ) ودفن في مقبرة «تريم» رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

من وصاياه النافعة التي وجهها لأحد المحبين الراغبين في ذلك منه:

«أُوصِيكَ وَنَفْسِي وَكَافَّةَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَإِنَّهَا الوَسِيلَةُ المُوصِلَةُ إِلَى خَيْرَاتِ الدَّارَيْنِ، وَالأَسَاسُ الَّذِي يَثْبُتُ عَلَيْهِ بِنَاءُ أَمْرِ الدِّينِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ الأَسَاسُ فِي غَايَةِ الإِحْكَامِ كَانَ البِنَاءُ عَلَيْهِ إِلَى الانْهِدَامِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى التَّمَامِ....

أُوصِيكَ بِالحِرْصِ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ النَّافِعِ، قِرَاءَةً، وَمُطَالَعَةً، وَمُذَاكَرَةً، وَتَحْصِيلاً، وَلَا يَحْمِلَنَّكَ عَلَى تَرْكِهِ الكَسَلُ وَالمَلَالَةُ، وَلَا مَخَافَةُ أَنْ لَا تَعْمَلَ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الجَهَالَةِ.....

وَأُوصِيكَ بِحُضُورِ القَلْبِ وَخُشُوعِ الجَوَارِحِ فِي جَمِيعِ عِبَادَاتِكَ، فَبِذَلِكَ تَحْصُلُ لَكَ ثِمَارُهَا وَتَفِيضُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهَا، وَبِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَلْتُشْعِرْ قَلْبَكَ عَلَى الدَّوَامِ أَنَّهُ عَلَيْكَ رَقِيبٌ وَمِنْكَ قَرِيبٌ...»[1].

(١) راجع الوصايا النافعة للإمام عبد الله بن علوي الحداد، نشر عبد القادر بن علي بن عيسى الحداد، ٢٠١٠م.

مَتْنُ

الحِكَمِ الحَدَّادِيَّة

للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد

الحبيب عبدالله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي

(ت ١١٣٢هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

١ ـ الخَلْقُ مَعَ الحَقِّ لاَ يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ فِي إِحْدَى الدَّائِرَتَيْنِ، إِمَّا فِي دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ، أَوْ فِي دَائِرَةِ الحِكْمَةِ، فَمَنْ كَانَ اليَوْمَ فِي دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ كَانَ غَدًا فِي دَائِرَةِ الفَضْلِ، وَمَنْ كَانَ اليَوْمَ فِي دَائِرَةِ الحِكْمَةِ كَانَ غَدًا فِي دَائِرَةِ العَدْلِ.

٢ ـ مَا تَرَكَ مِنَ الكَمَالِ شَيْئًا مَنْ أَقَامَ نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ مَقَامَ عَبْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ.

٣ ـ النَّائِمُ يُوقَظُ، وَالغَافِلُ يُذَكَّرُ، وَمَنْ لَمْ يُجْدِ فِيهِ التَّذْكِيرُ وَلاَ التَّنْبِيهُ فَهُوَ مَيِّتٌ.

٤ ـ إِنَّمَا تَنْفَعُ المَوْعِظَةُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا بقَلْبِهِ، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

٥ ـ كَيْفَ يَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يُرْضِي المَخْلُوقِينَ بِسَخَطِ رَبِّ العَالَمِينَ؟!

٦ ـ العَادَةُ إِذَا رَسَخَتْ نَسَخَتْ.

٧ ـ لاَ تَدُومُ مَعَ الكُلْفَةِ أُلْفَةٌ.

٨ ـ مَنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ الفَقْرَ قَلِيلُ المَالِ، لَمْ يُحَصِّلْ لَهُ الغِنَى كَثِيرُهُ. كَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِقَلِيلِ العِلْمِ، فَهُوَ مِنَ الانْتِفَاعِ بِكَثِيرِهِ أَبْعَدُ.

٩ ـ مُنَازِعُ الأَقْدَارِ: مَنِ اسْتَقْبَحَ مِنْ أَخِيهِ مَا لاَ يَدْخُلُ تَحْتَ الاخْتِيَارِ.

١٠ ـ الرِّضَى بِالقَضَاءِ يَنْتَفِي مَعَهُ الاعْتِرَاضُ عَلَى اللَّهِ، وَيَبْقَى مَعَهُ الطَّلَبُ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَبَ، وَالهَرَبُ مِمَّا مِنْهُ يُهْرَبُ.

١١ ـ الدُّنْيَا المَحْمُودَةُ: هِيَ الَّتِي يَصِلُ بِهَا إِلَى فِعْلِ خَيْرٍ أَوْ يَنْجُو بِهَا مِنْ فِعْلِ شَرٍّ.

وَالدُّنْيَا المُبَاحَةُ: هِيَ الَّتِي لاَ يَقَعُ بِسَبَبِهَا فِي تَرْكِ مَأْمُورٍ وَفِي رُكُوبِ مَحْظُورٍ.

وَالدُّنْيَا المَذْمُومَةُ عَلَى لِسَانِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: هِيَ الَّتِي يَقَعُ بِسَبَبَهَا فِي تَرْكِ طَاعَةٍ أَوْ فِعْلِ مَعْصِيَةٍ.

١٢ ـ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكْتَفِي بِالإِشَارَةِ عَنِ التَّعْيِينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى التَّصْرِيحِ مَعَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُجْدِي فِيهِ إِلَّا التَّعْنِيفُ وَالتَّخْشِينُ.

وَمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِذَا وَلاَ بِذَاكَ فَهُوَ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

وَلِهَؤُلاَءِ الأَرْبَعَةِ أَمْثَالٌ مِنَ البَهَائِمِ:

ـ فَمَثَلُ الأَوَّلِ مَثَلُ الدَّابَّةِ المُذَلَّلَةِ، تَسْتَغْنِي أَنْ تُلْجِمَهَا أَوْ تَضْرِبَهَا.

ـ وَمَثَلُ الثَّانِي مَثَلُ الدَّابَّةِ الَّتِي تَكْتَفِي بِالخِطَامِ، دُونَ الضَّرْبِ.

ـ وَمَثَلُ الثَّالِثِ مَثَلُ الدَّابَّةِ الَّتِي لاَ تَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالضَّرْبِ وَالزَّجْرِ.

ـ وَمَثَلُ الرَّابِعِ مَثَلُ الدَّابَّةِ إِنْ خَطَمْتَهَا أَوْ ضَرَبْتَهَا ازْدَادَتْ نُفُوراً.

١٣ ـ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ حُرّاً فَاتْرُكْ كُلَّ أَمْرٍ إِنْ لَمْ تَتْرُكْهُ اخْتِيَاراً تَرَكَتْهُ اضْطِرَاراً.

١٤ ـ مَا عُرِفَ قَدْرُ الشَّيْءِ بِمِثْلِ ضِدِّهِ، وَلاَ تَسَلَّى المُصَابُ بِمِثْلِ ذِكْرِهِ مَنْ أُصِيبَ بِمِثْلِ مُصِيبَتِهِ.

١٥ ـ مَنْ شَغَلَهُ حَقُّ رَبِّهِ عَنْ حُقُوقِ نَفْسِهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ فَهُوَ عَبْدُ الحَضْرَةِ. وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحَقِّ نَفْسِهِ عَنِ القِيَامِ بِحَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ إِخْوَانِهِ فَهُوَ عَبْدُ الشَّهْوَةِ. وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَلَى القِيَامِ بِحُقُوقِ رَبِّهِ وَحُقُوقِ نَفْسِهِ فَهُوَ عَبْدُ الرِّيَاسَةِ. وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحَقِّ رَبِّهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَنِ القِيَامِ بِحُقُوقِ نَفْسِهِ فَهُوَ صَاحِبُ وِرَاثَةٍ.

١٦ ـ عَجَبًا لِمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَهُوَ مِنْ تَحْصِيلِهَا عَلَى وَهْمٍ، وَمِنَ الانْتِفَاعِ

بِمَا حَصَّلَهُ مِنْهَا عَلَى شَكٍّ، وَمِنْ تَرْكِهَا وَالخُرُوجِ مِنْهَا عَلَى يَقِينٍ.

١٧ ـ مَنْ تَعَوَّدَ الغَرَائِمَ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الغَنَائِمِ.

١٨ ـ إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى شَهْوَةٍ وَشَغَلَتْكَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ: أُجِيبُهَا فِي هَذِهِ، وَأُفَرِّغُ القَلْبَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَجَبْتَهَا إِلَيْهَا دَعَتْكَ إِلَى أَعْظَمِ مِنْهَا.

١٩ ـ لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَجِدَ فِي مُعَامَلَةِ الحَقِّ مَا يَجِدُ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ فِي شَهَوَاتِهِمْ مِنَ اللَّذَّةِ وَالحَلاَوَةِ.

٢٠ ـ المَؤُونَةُ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ أَقَلُّ مِنَ المَؤُونَةِ فِي تَخَوُّفِ إِفْشَائِهِ مِمَّنْ تُطْلِعُهُ عَلَيْهِ.

٢١ ـ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ الرَّجُلِ: ثَنَاؤُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ. وَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى تَوَاضُعِهِ: رِضَاهُ بِالتَّأْخِيرِ فِي مَوْطِنٍ يَسْتَحِقُّ فِيهِ التَّقْدِيمَ. وَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى إِخْلاَصِهِ: عَدَمُ المُبَالاَةِ بِإِسْخَاطِ الخَلْقِ فِي جَنْبِ الحَقِّ.

٢٢ ـ الدُّنْيَا شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا: حُبُّ المَالِ. وَالآخَرُ: حُبُّ الجَاهِ. فَمَنْ زَهِدَ فِي المَالِ وَالجَاهِ فَهُوَ صِدِّيقٌ. وَمَنْ زَهِدَ فِي المَالِ دُونَ الجَاهِ فَهُوَ مُرَاءٍ. وَمَنْ زَهِدَ فِي الجَاهِ وَأَحَبَّ المَالَ فَهُوَ لَئِيمٌ. وَمَنْ أَحَبَّ المَالَ وَالجَاهَ كَانَ أَصْغَرُ عُقُوبَتِهِ حِرْمَانَهُمَا.

٢٣ ـ الأَرَاضِي ثَلاَثٌ:

ـ أَرْضٌ إِذَا سُقِيَتْ أَنْبَتَتِ العُشْبَ وَالكَلأَ، ومَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ الَّذِي يَتَعَلَّمُ وَيَفْهَمُ فِي العِلْمِ، فَكَمَا أَنَّ النَّبَاتَ لَيْسَ عَيْنَ المَاءِ وَلَكِنَّ المَاءَ سَبَبُ حُصُولِهِ، فَكَذَلِكَ الفَهْمُ لَيْسَ عَيْنَ العِلْمِ، وَلِكِنْ عَنِ العِلْمِ يَكُونُ.

ـ وَالأَرْضُ الثَّانِيَةُ تُمْسِكُ المَاءَ وَلاَ تُنْبِتُ الكَلأَ، وَمَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ مَثَلُ الَّذِي يَحْفَظُ العِلْمَ وَلاَ يَفْهَمُ فِيهِ، وَإِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ لاَ يَزِيدُ عَلَى مَا يَسْمَعُ فَهُوَ ذَاكَ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ شَيْئاً يُوَافِقُ مَا سَمِعَ مِنَ العِلْمِ فَهُوَ الأَوَّلُ.

ـ وَالأَرْضُ الثَّالِثَةُ أَرْضٌ لاَ تُنْبِتُ الكَلأَ وَلاَ تُمْسِكُ المَاءَ، وَمَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ مَثَلُ مَنْ لاَ يَحْفَظُ العِلْمَ وَلاَ يَفْهَمُ فِيهِ، فَإِلْقَاءُ العِلْمِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ إِضَاعَةٌ لِلعِلْمِ، فَكَمَا أَنَّ رَبَّ الأَرْضِ الَّتِي هَذِهِ صِفَتُهَا لاَ يَسْقِيهَا وَيَرَى أَنَّ سَقْيَهَا مِنَ الإِضَاعَةِ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يُلْقَى العِلْمُ إِلَى مَنْ يُضَيِّعُهُ، بَلْ أَوْلَى.

٢٤ ـ لاَ تَثْبُتُ الدَّعَاوِي بِالأَقْوَالِ حَتَّى تَقُومَ بِإِثْبَاتِهَا البَيِّنَةُ مِنَ الأَفْعَالِ.

٢٥ ـ إِذَا ادَّعَتْ نَفْسُكَ أَنَّهَا لاَ تُفَرِّقُ بَيْنَ وُجُودِ الشَّيْءِ وَعَدَمِهِ فَلاَ تَقْنَعْ مِنْهَا بِذَلِكَ حَتَّى تَخْتَبِرَهَا بِالأَمْرَيْنِ جَمِيعاً.

٢٦ ـ لَوْلاَ العَلاَمَاتِ لَادَّعَى كُلُّ أَحَدٍ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ بِالعَلاَمَاتِ وَالأَمَارَاتِ يُفَرَّقُ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ.

٢٧ ـ مَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الدُّنْيَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنْ وَرَثَةِ النَّبِيِّينَ. وَمَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَالدُّنْيَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ. وَمَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الدُّنْيَاوِيَّةُ وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ الأُخْرَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنَ المُسْتَدْرَجِينَ. وَمَنْ تَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَالدُّنْيَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنَ المَمْقُوتِينَ.

٢٨ ـ شَرُّ الفُقَرَاءِ: مَنْ يَوَدُّ أَنَّهُ مِنَ الأَغْنِيَاءِ، وَخَيْرُ الأَغْنِيَاءِ: مَنْ لاَ يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الفُقَرَاءِ.

٢٩ ـ مَنْ أَمْسَكَ عَنْ تَنَاوُلِ فُضُولِ الشَّهَوَاتِ وَلَمْ يُنْفِقْ مَا فِي يَدَيْهِ مِنْ فُضُولِ الأَمْوَالِ فَهُوَ مَحْرُومٌ. وَالَّذِي يَتَمَتَّعُ بِمَا فِي يَدِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَيُنْفِقُهُ فِي شَهَوَاتِهِ المُبَاحَةِ أَحْسَنُ حَالاً مِنْهُ.

٣٠ ـ لاَ يَكْمُلُ حَالُ الدَّاعِي إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يَصِيرَ قَوْلُهُ وَفِعْلُهُ حُجَّةً عَلَى جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ.

٣١ ـ إِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ يُفِيدُ بِقَوْلِهِ دُونَ فِعْلِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ نَاقِصٌ. وَإِذَا رَأَيْتَ المُتَعَلِّمَ تُفِيدُهُ الأَقْوَالُ وَلاَ تُؤَدِّبُهُ الأَفْعَالُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ عَنِ التَّحْصِيلِ نَاكِصٌ. وَإِذَا رَأَيْتَ الطَّالِبَ يَنْتَفِعُ بِأَقْوَالِ شَيْخِهِ وَلاَ يَنْتَفِعُ بِأَفْعَالِهِ فَانْظُرْ فَإِنْ لَمْ تَرَ فِي أَفْعَالِ الشَّيْخِ مَا تَحْصُلُ بِهِ الفَائِدَةُ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَفْعَالَهُ تُفِيدُ وَلَكِنْ لاَ يُحْسِنُ الطَّالِبُ أَنْ يَسْتَفِيدَ فَلاَ يُعْتَدُّ بِهِ.

٣٢ ـ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوصَفَ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ، وَكَرِهَ أَنْ يُذْكَرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَائٍ.

٣٣ ـ كَثِيراً مَا يَلْتَبِسُ الحَيَاءُ المَحْمُودُ بِالجُبْنِ المَذْمُومِ، وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ كُلَّ حَيَاءٍ حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ خَيْرٍ أَوْ وَقَعْتَ بِسَبَبِهِ فِي شَرٍّ فَهُوَ الجُبْنُ المَذْمُومُ، وَلَيْسَ بِالحَيَاءِ لِأَنَّ الحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ كَمَا فِي الحَدِيثِ.

٣٤ ـ مَنْ أَهْمَلَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَخَافُ، اسْتَعْمَلَ الكَذِبَ حَيْثُ يَرْجُو.

٣٥ ـ مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ رَأَى غُرُوراً وَزُوراً، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْ قَلْبِهِ رَأَى هَبَاءً مَنْثُوراً.

٣٦ ـ فِي الحِرْصِ عَلَى المَالِ هَلَاكُ الدِّينِ، وَفِي الحِرْصِ عَلَى الجَاهِ هَلَاكُ الدِّينِ وَالمَالِ جَمِيعاً.

٣٧ ـ لَيْسَ وَاضِعُ المَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ بِأَقَلَّ إِثْماً مِنْ مُمْسِكِهِ مِنْ حَقِّهِ.

٣٨ ـ مَنْ أَمْسَكَ شَيْئاً يَرَى أَنَّ إِنْفَاقَهُ خَيْرٌ مِنْ إِمْسَاكِهِ فَهُوَ مِنَ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا.

٣٩ ـ مُشَاهَدَةُ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا تَمْحُو حُبَّ الآخِرَةِ مِنَ القَلْبِ، فَكَيْفَ بِالمُجَالَسَةِ وَالمُخَالَطَةِ؟!

٤٠ ـ كَفَى بِفِقْدَانِ الرَّغْبَةِ فِي الخَيْرِ مُصِيبَةً، وَكَفَى بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا عُقُوبَةً، وَكَفَى بِالظُّلْمِ حَتْفاً لِصَاحِبِهِ، وَكَفَى بِالذَّنْبِ عَاراً لِلْمُلِمِّ بِهِ.

٤١ ـ مَنْ تَرَكَ الجَزْمَ لِلْوَهْمِ فَهُوَ أَحْمَقُ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى الشَّكِّ مَعَ إِمْكَانِ المَصِيرِ إِلَى اليَقِينِ فَهُوَ أَخْرَقُ.

٤٢ ـ يَنْبَغِي أَنْ يَدُورَ كَلَامُ العَالِمِ بِاللَّهِ مَعَ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: الأَوَّلُ: التَّذْكِيرُ بِالنِّعَمِ وَالثَّانِي: الْتِزَامُ الطَّاعَةِ. وَالثَّالِثُ: اجْتِنَابُ المَعْصِيَةِ. فَكُلُّ عَالِمٍ أَخَذَ يَتَكَلَّمُ مَعَ العَامَّةِ بِغَيْرِ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ فَتَّانٌ.

٤٣ ـ رَحْمَةٌ تَطْلُبُكَ، وَرَحْمَةٌ تَطْلُبُهَا، فَالَّتِي تَطْلُبُكَ رَحْمَةُ الهِدَايَةِ بِالبَيَانِ، وَلِأَجْلِهَا كَانَ إِرْسَالُ الرُّسُلِ وَإِنْزَالُ الكُتُبِ، وَالَّتِي تَطْلُبُهَا هِيَ الجَنَّةُ، تَسْعَى لَهَا بِالعَمَلِ الصَّالِحِ عَلَى قَانُونِ العِلْمِ النَّافِعِ.

٤٤ ـ دَوَاعِي الحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا: النَّظَرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الاسْتِحْسَانِ. وَعَنْهُ يَكُونُ حُبُّ البَقَاءِ للتمتُّع. وَالثَّانِي: تَعْظِيمُ النَّاسِ لِأَرْبَابِهَا. وَمِنْهُ يَكُونُ التَّفَاخُرُ وَالتَّكَاثُرُ. وَالثَّالِثُ: تَوَهُّم أَنْ لَا قِوَامَ بِدُونِهَا. وَعَنْهُ يَنْشَأُ البُخْلُ وَخَوْفُ الفَقْرِ.

٤٥ ـ أَجْهَلُ الجَاهِلِينَ: مَنْ تَزِيدُهُ المَعْرِفَةُ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ جُرْأَةً عَلَى مَعَاصِيهِ.

٤٦ ـ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ قَبْلَ الوُقُوعِ فِيهِ، دَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى فِعْلِهِ.

٤٧ ـ مَثَلُ الَّذِي يُذْنِبُ لِيَتُوبَ مَثَلُ الَّذِي يُدَنِّسُ بَدَنَهُ وَثِيَابَهُ لِيَغْتَسِلَ! وَمَا هَكَذَا يَنْبَغِي. إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ مِنَ الدَّنَسِ مَا اسْتَطَاعَ، ثُمَّ إِنْ وَقَعَ بِحُكْمِ الغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ كَانَ الوَاجِب عَلَيْهِ التَّنَظُّف فِي الحَالِ.

٤٨ ـ مَثَلُ الأُخُوَّةِ فِي اللهِ مَثَلُ الشَّجَرَةِ تُسْقَى بِمَاءِ التَّزَاوُرِ، وَتُثْمِرُ التَّعَاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى، فَإِذَا لَمْ تُسْقَ الشَّجَرَةُ يَبِسَتْ، وَإِذَا لَمْ تُثْمِرْ قُطِعَتْ.

٤٩ ـ إِذَا عَمِلْتَ الطَّاعَةَ فَانْظُرْ إِنْ شِئْتَ فِي بِدَايَتِهَا الَّتِي كَانَتْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ، وَبِذَلِكَ يَنْتَفِي الإِعْجَابُ، وَيَبْقَى شُهُودُ المِنَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ شِئْتَ نَظَرْتَ فِي نِهَايَتِهَا الَّتِي هِيَ جَزِيلُ الثَّوَابِ وَحُسْنُ المَآبِ، وَعِنْدَهُ تَعْظُمُ الرَّغْبَةُ وَتَخِفُّ المُدَاوَمَةُ، وَالأَوَّلُ أَتَمُّ.

وَإِذَا وَقَعَتْ مِنْكَ مَعْصِيَةٌ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى بِدَايَتِهَا الَّتِي هِيَ التَّقْدِيرُ، فَيَدْعُوكَ ذَلِكَ إِلَى الاحْتِجَاجِ عَلَى اللهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ المَعْصِيَةِ، وَلِكْنْ يَنْبَغِي أَنْ تَنْظُرَ فِي نِهَايَتِهَا الَّتِي هِيَ أَلِيمُ العِقَابِ، وَعِنْدَهُ تُبَادِرُ إِلَى التَّوْبَةِ وَتَعْظُمُ الرَّهْبَةُ.

٥٠ ـ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ: التَّوَاضُعُ فِي الرِّفْعَةِ، وَالتَّجَمُّلُ فِي القِلَّةِ، وَالاقْتِصَادُ فِي الثَّرْوَةِ.

٥١ ـ العَاقِلُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ كَالرَّشِيدِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ، وَالعَالِمُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ كَصَاحِبِ المَالِ الَّذِي لَا رُشْدَ لَهُ.

٥٢ ـ سَخِّرْ عَقْلَكَ لِعِلْمِكَ، وَسَخِّرْ نَفْسَكَ لِعَقْلِكَ.

٥٣ ـ مَا الشَّأْنُ فِي شُهُودِ التَّقْصِيرِ فِي التَّقْصِيرِ، إِنَّمَا الشَّأْنُ شُهُودُ التَّقْصِيرِ فِي التَّشْمِيرِ.

٥٤ ـ يَكُونُ الخَيْرُ فِي الأَكْثَرِ شَاقّاً فِي الحَالِ، حُلْواً فِي المَآلِ، وَمَثَلُ فَاعِلِهِ مَثَلُ الَّذِي يَصْعَدُ فِي العَقَبَةِ الكَئُودِ، لَا يَجِدُ الرَّاحَةَ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى أَعْلَاهَا، وَالشَّرُّ يَكُونُ فِي الأَكْثَرِ حُلْواً فِي الحَالِ وَشَاقّاً فِي الاسْتِقْبَالِ، وَمَثَلُ فَاعِلِهِ مَثَلُ الَّذِي يَقَعُ مِنْ ذُرْوَةِ جَبَلٍ أَوْ بَيْتٍ، لَا يَجِدُ الأَلَمَ حَتَّى يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ.

٥٥ ـ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَدَّ بِأُخُوَّةِ أَخٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَلَا يَفْعَلُ.

٥٦ ـ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْطَفِيَ إِنْسَاناً لِنَفْسِكَ فَلَا بَأْسَ أَنْ تَمْتَحِنَهُ بِمَا لَا يَصِحُّ الاصْطِفَاءُ بِدُونِهِ.

٥٧ ـ لَا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَطِيعُ القِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَلَا يُحْوِجُكَ لِطَلَبِ حُقُوقِكَ؛ لِكَمَالِ قِيَامِهِ بِهَا.

٥٨ ـ مَنْ عَوَّلَ فِي إِسْقَاطِ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَلَى قَبُولِ العُذْرِ كَانَ أَقَلَّ مَا يَلْقَاهُمْ بِهِ الغِشُّ وَالمَكْرُ.

٥٩ ـ أَكْرِمْ إِخْوَانَكَ إِكْرَاماً تَسْتَطِيعُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ؛ وَإِلَّا كَانَ مَآلُ الأَمْرِ إِلَى الوَحْشَةِ وَالقَطِيعَةِ.

٦٠ ـ التَّأْوِيلُ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: يَدُلُّ عَلَى الكَمَالِ، وَهُوَ مَا يُؤَوَّلُ لِيَصِلَ إِلَى الأَفْهَامِ. وَهَذَا النَّوْعُ كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

ـ وَالثَّانِي: مَا يُؤَوَّلُ لِيَصِحَّ كَوْنُهُ حَقّاً أَوْ غَيْرَ بَاطِلٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى النَّقْصِ.

فَكُلُّ شَيْخٍ يُحْتَاجُ فِي صُحْبَتِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ عَلَى الوَجْهِ الثَّانِي لَا يَكْمُلُ الاقْتِدَاءُ بِهِ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ لَا يُحَصِّلُ كَمَالاً، وَإِنَّمَا يَدْفَعُ نَقْصاً.

٦١ ـ مَنْ أَفْرَطَ فِي حُبِّ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا المُبَاحَةِ، وَقَعَ لَا مَحَالَةَ فِي مُوجِبِ النَّارِ أَوِ العَارِ.

٦٢ ـ تَخَاصَمَ العَجْزُ وَالحِرْمَانُ أَيُّهُمَا أَضَرُّ عَلَى صَاحِبِهِ، وَتَرَافَعَا إِلَى العَقْلِ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا أَنَّ العَجْزَ أَصْلٌ وَالحِرْمَان فَرْعُهُ.

٦٣ ـ مَا مِنْ طَوِيَّةٍ، إِلَّا وَفِيهَا خَفِيَّةٌ.

٦٤ ـ إِذَا صَلُحَتِ المَقَاصِدُ، لَمْ يَخِبِ القَاصِدُ.

٦٥ ـ الشَّيْطَانُ عَلَى إِضْلَالِ العَالِمِ أَحْرَصُ مِنْهُ عَلَى إِضْلَالِ الجَاهِلِ؛ لِأَنَّ العَالِمَ إِذَا ضَلَّ يَضِلُّ بِضَلَالِهِ غَيْرُهُ، وَالجَاهِلُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

٦٦ ـ مَنْ أَصْلَحَ نِيَّتَهُ، بَلَغَ أُمْنِيَّتَهُ.

٦٧ ـ يَصْعُبُ سُلُوكُ سَبِيلِ النَّجَاةِ عَلَى مَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ حُبُّ المَالِ وَالجَاهِ.

٦٨ ـ الخَوْفُ الصَّادِقُ يَعْمَلُ فِي مَحْوِ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالهِمَمِ الدَّنِيَّةِ عَمَلَ النَّارِ فِي إِحْرَاقِ الأَشْجَارِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وَالرَّجَاءُ الصَّادِقُ يَعْمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ النِّيَّاتِ الطَّيِّبَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَمَلَ المَاءِ فِي الأَرْضِ الهَامِدَةِ الخَاشِعَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

٦٩ ـ يَنْبَغِي أَنْ تُوقِدَ لَكَ سِرَاجاً مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ تَسْتَضِيءُ بِهِ فِي لَيْلِ ظُلُمَاتِ الدُّنْيَا حَتَّى يَطْلَعَ عَلَيْكَ فَجْرُ المَوْتِ أَوْ شَمْسُ السَّاعَةِ، فَإِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ فِي لَيْلِهَا بِلَا سِرَاجٍ تَنْتَظِرُ طُلُوعَ هَذَا الفَجْرِ أَوْ سُطُوعَ هَذِهِ الشَّمْسِ حَقَّ عَلَيْكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

٧٠ ـ كَفَى بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ مَثُوبَةً، وَكَفَى بِحِرْمَانِ الجَنَّةِ عُقُوبَةً.

٧١ ـ العَالَمُ بِأَسْرِهِ مُتَلَاشٍ، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ لَا شَيْءَ.

٧٢ ـ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ بِكَ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ.

٧٣ ـ الإِفْرَاطُ فِي الأَمْرِ آيَةٌ عَلَى المَصِيرِ فِيهِ إِلَى التَّفْرِيطِ.

٧٤ ـ مَنْ مَدَحَكَ عِنْدَ رِضَائِهِ بِمَا لَيْسَ فِيكَ، ذَمَّكَ لَا مَحَالَةَ عِنْدَ غَضَبِهِ عَلَيْكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ.

إِذَا آنَسْتُ مِنْ خِلٍّ جَفَاءً ... فَلَا أَجْفُوهُ وَإِنْ هُوَ قَدْ جَفَانِي
وَلَكِنِّي أُفَارِقُهُ بِرِفْقٍ ... وَأُمْسِكُ عَنْ تَنَاوُلِهِ لِسَانِي

٧٥ ـ الذِّكْرُ لِلَّهِ مَغْنَاطِيسُ القُلُوبِ، يَجْذِبُهَا بِخَاصِّيَّتِهِ مِنْ مَوَاطِنِ الغَفْلَةِ إِلَى عَوَالِمِ الغُيُوبِ.

٧٦ ـ لَا يَطْمَعُ فِي بُلُوغِ الآمَالِ وَالأَوْطَارِ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى رُكُوبِ الأَهْوَالِ وَالأَخْطَارِ.

٧٧ ـ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُخَاطِبَ الجَاهِلَ الَّذِي يَظُنُّ بِنَفْسِهِ العَقْلَ أَصْلاً؛ لِأَنَّهُ إِنْ خَاطَبَهُ عَلَى مُقْتَضَى عَقْلِهِ كَانَ مُضَيِّعاً لِلْعَقْلِ وَمُسْتَهِيناً بِفَضْلِهِ.

وَإِنْ خَاطَبَهُ بِحَسَبِ جَهْلِهِ كَانَ مُتَشَبِّهاً بِهِ وَمَعْدُوداً مِثْلَهُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٧٨ ـ مَنْ أَرْضَاكَ بِمَا يَضُرُّكَ فِي دِينِكَ ـ كَالمُدَاهَنَةِ لَكَ وَعَدَمِ النُّصْحِ وَالتَّبْصِيرِ بِالعُيُوبِ ـ فَهُوَ لَكَ عَدُوٌّ، وَإِنْ كَانَتْ نَفْسُكَ تَمِيلُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ طَبْعُهَا وَهَوَاهَا، وَهُوَ كَالطَّعَامِ اللَّذِيذِ المُلَائِمِ، وَفِيهِ السُّمُّ النَّاقِعُ.

وَمَنْ أَسْخَطَكَ بِمَا يَنْفَعُكَ فِي دِينِكَ ـ مِثْلُ التَّنْبِيهِ عَلَى العُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ الَّتِي هِيَ فِيكَ ـ فَهُوَ لَكَ وَلِيٌّ وَإِنْ كَرِهْتَهُ بِطَبْعِكَ، وَمَثَلُهُ كَالدَّوَاءِ المُرِّ الَّذِي يَكُونُ فِي ضِمْنِهِ العَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ.

٧٩ ـ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْكُرَهُ النَّاسُ وَيُثْنُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الكَمَالِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ خِلَافَهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَذُمُّوهُ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ انْطِوَاءَهُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَصِيرَ يَفْرَحُ وَيَمِيلُ إِلَى مَنْ يَمْدَحُهُ، وَيَنْفُرُ وَيَكْرَهُ مَنْ يَذُمُّهُ، فَقَدْ عَظُمَتْ حَمَاقَتُهُ وَتَمَّتْ غَبَاوَتُهُ.

٨٠ ـ الإِيمَانُ شَجَرَةٌ ثَابِتَةٌ فِي أَرْضِ القَلْبِ، وَالاعْتِقَادَاتُ وَالمَعَارِفُ الإِيمَانِيَّةُ بِمَنْزِلَةِ الأُصُولِ وَالعُرُوقِ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَالأَخْلَاقُ المَحْمُودَةُ وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ بِمَنْزِلَةِ الفُرُوعِ وَالغُصُونِ لَهَا.

وَمِثَالُ المَوْتِ وَمَا يَعْرِضُ عِنْدَهُ مِنَ الفِتَنِ وَيَحْصُلُ بِوَاسِطَتِهِ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ: كَالسَّيْلِ القَوِيِّ الَّذِي يَجْرِي عَلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ، أَوِ الرِّيحِ المُزَعْزِعَةِ الَّتِي تُحَرِّكُ فُرُوعَهَا وَتَمِيلُ بِهَا يَمِيناً وَشِمَالاً.

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ الشَّرِيفَةُ فِي نِهَايَةِ القُوَّةِ وَالنُّمُوِّ وَالرُّسُوخِ، فُرُوعاً وَأُصُولاً، خِيفَ عَلَيْهَا الانْقِلَاعُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اشْتَدَّ خَوْفُ الأَكَابِرِ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ وَزَيْغِ القَلْبِ عِنْدَ المَوْتِ.

ثُمَّ إِنَّ القَوَادِحَ وَالعَوَارِضَ الَّتِي تَعْرِضُ لِأُصُولِهَا مِنَ البِدَعِ وَالشُّكُوكِ وَالاضْطِرَابِ فِي أَمْرِ الآخِرَةِ، يَجْرِي مَجْرَى مَا يَعْرِضُ فِي أُصُولِ الشَّجَرَةِ مِنَ الآفَاتِ وَالأَخْلَاقِ المَذْمُومَةِ، وَالمَعَاصِي تَجْرِي مِنْهَا مَجْرَى مَا يَقَعُ لِفُرُوعِ الشَّجَرَةِ وَأَغْصَانِهَا مِنَ العَوَارِضِ، فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَ الَّذِي يَقْدَحُ فِي الأَصْلِ وَيُوهِنُهُ أَضَرَّ عَلَى الشَّجَرَةِ كَثِيراً مِنَ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الفُرُوعِ.

وَلِهَذَا عَظُمَ أَمْرُ البِدْعَةِ وَالشَّكُّ فِي اليَوْمِ الآخِرِ، وَكَانَ عَلَى صَاحِبِهِ أَضَرَّ مِنَ المَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ. نَسْأَلُ اللَّهَ العَافِيَةَ وَالوَفَاةَ عَلَى الإِسْلَامِ.

٨١ ـ الدُّنْيَا تُنَادِي عَلَى نَفْسِهَا بِلِسَانِ الحَالِ، خِطَاباً لِلرَّاغِبِينَ فِيهَا: احْذَرُونِي فَإِنَّنِي فِتْنَةٌ، وَخُذُوا مِنِّي زَادَ الآخِرَةِ، وَامْتَثِلُوا أَمْرَ اللَّهِ لَكُمْ فِي تَرْكِكُمْ إِيَّايَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِيَّ وَالمُتَمَتِّعِينَ بِي، وَانْظُرُوا فِي سِيَرِهِمْ وَكَيْفَ ذَهَبُوا وَانْقَلَبُوا إِلَى الآخِرَةِ، الزَّاهِدُونَ مِنْهُمْ بِنَعِيمٍ لَا يَنْقَضِي، وَأَهْلُ الحِرْصِ بِحَسْرَةٍ لَا تَنْقَطِعُ.

٨٢ ـ الكَمَالُ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ: العِلْمُ، وَبِهِ يُعْرَفُ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى. وَالعَمَلُ بِالعِلْمِ، وَهُوَ القِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ. وَالإِخْلَاصُ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَهُوَ تَصْفِيَةُ مَا

لِلَّهِ. وَالبَرَاءَةُ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَهُوَ الاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ. فَمَنْ عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ، وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَصَفَّى مَا لِلَّهِ، وَاعْتَمَدَ عَلَى اللَّهِ، فَهُوَ الإِنْسَانُ المُرْتَضَى، الوَلِيُّ لِلَّهِ المُجْتَبَى.

٨٣ ـ السَّمَاعُ يُشْفِي السَّقِيمَ، وَيُحْيِي الرَّمِيمَ، إِذَا وَقَعَ مِنْ أَهْلِهِ مَعَ أَهْلِهِ فِي الوَقْتِ القَابِلِ لِذَلِكَ، وَالمَحَلِّ اللَّائِقِ بِهِ. وَهُوَ فِتْنَةٌ عَلَى المُسْتَمِعِ بِالحَظِّ وَالهَوَى، وَعَلَى المُسَمِّعِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ.

٨٤ ـ لَابُدَّ لِلْإِنْسَانِ فِي الوُصُولِ إِلَى سَعَادَاتِ الآخِرَةِ مِنْ أَمْرَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: الهِدَايَةُ وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الغَيْثِ الَّذِي يُصِيبُ الأَرْضَ.

ـ وَالثَّانِي: السَّعْيُ إِلَى اللَّهِ عَلَى مِنْهَاجِ الاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الحَرْثِ لِلْأَرْضِ، وَتَعَهُّدِهَا بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ البَذْرِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالحِفْظِ، وَتَنْحِيَةُ المُؤْذِي، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

فَحَرْثُ الأَرْضِ دُونَ أَنْ يُصِيبَهَا السَّيْلُ عَنَاءٌ وَتَعَبٌ بِلَا حَاصِلٍ، وَإِصَابَةُ السَّيْلِ لَهَا مَعَ تَرْكِ الحَرْثِ إِضَاعَةٌ.

فَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ كَالغَيْثِ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَذَلِكَ هُوَ الحَقِيقَةُ. وَالسَّعْيُ وَالاجْتِهَادُ الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ حَرْثِ الأَرْضِ وَتَعَهُّدِهَا إِلَى العَبْدِ، وَهُوَ كَسْبُهُ، وَعَنْهُ يُسْأَلُ، وَعَلَيْهِ يُجْزَى، وَذَلِكَ هُوَ الشَّرِيعَةُ.

٨٥ ـ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ البَادِيَةِ المُخْوِفَةِ الكَثِيرَةِ السُّرَّاقِ وَالغُصَّابِ، وَالآخِرَةُ بِمَنْزِلَةِ المَدِينَةِ الخَصِيبَةِ الآمِنَةِ، وَالإِنْسَانُ خَرَجَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَأْخُذَ مِمَّا فِيهَا فَيُقَدِّمهُ لِلْآخِرَةِ.

فَالعَاقِلُ كُلَّمَا حَصَلَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْتِعَتِهَا قَدَّمَهُ أَمَامَهُ؛ لِيَحْفَظَ وَيَأْمَنَ عَلَيْهِ وَيَنْتَفِعَ بِهِ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ وَهُوَ الآخِرَةُ.

وَالجَاهِلُ يَحْتَبِسُ مَا مَعَهُ عِنْدَهُ بُخْلًا بِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَهُ الغُصَّابُ مِنْ يَدِهِ، وَهِيَ فِي المِثَالِ آفَاتُ الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يُسَافِرَ مِنَ البَادِيَةِ الَّتِي لَا قَرَارَ لَهُ بِهَا عَلَى القَهْرِ مِنْهُ، وَيُكَلَّفَ تَرْكَ مَا مَعَهُ، فَيَأْخُذُهُ مَنْ يَبْقَى فِي المَحَلِّ الَّذِي انْتَقَلَ عَنْهُ.

هَذَا مِثَالٌ عَجِيبٌ، فَلْيَفْهَمْهُ العَاقِلُ اللَّبِيبُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٨٦ ـ الخَوْفُ لَا يَنْتَفِي وَلَا يَذْهَبُ عَنِ المُؤْمِنِ وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الإِيمَانِ صَالِحَ العَمَلِ، بَلْ كُلَّمَا كَانَ الإِيمَانُ أَكْمَلَ وَالعَمَلُ أَصْلَحَ كَانَ الخَوْفُ أَعْظَمَ.

مِثَالُ ذَلِكَ: الإِنْسَانُ يَكُونُ مَعَهُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ الكَثِيرَةُ وَالأَقْمِشَةُ المَلِيحَةُ وَهُوَ مُسَافِرٌ فِي خَبْتٍ مُخْوِفٍ أَوْ بَحْرٍ مُغْرِقٍ، فَالمَالُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الغِنَى وَالشَّرَفِ مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَيَشْتَدُّ خَوْفُهُ عَلَى فَوْتِهِ، وَلَا يَخَافُ مَنْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَتِمُّ سُرُورُ صَاحِبِ هَذَا المَالِ بِمَالِهِ وَيَنْتَفِي عَنْهُ الخَوْفُ حَتَّى يَصِلَ البَنْدَرَ وَيَتَيَقَّنَ السَّلَامَةَ.

فَالآخِرَةُ هِيَ بَنْدَرُ الأَمْنِ، وَالدُّنْيَا هِيَ البَحْرُ المُغْرِقُ وَالخَبْتُ المُخْوِفُ، وَالمُسَافِرُ هُوَ الإِنْسَانُ، وَالنُّقُودُ وَالأَقْمِشَةُ الَّتِي تَكُونُ مَعَهُ هِيَ المَعَارِفُ الإِيمَانِيَّةُ

وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، وَالأُمُورُ الَّتِي يَخْشَى مِنْهَا فِي هَذَا السَّفَرِ عَلَى هَذِهِ الأَمْتِعَةِ الشَّرِيفَةِ هِيَ الشُّكُوكُ وَالآفَاتُ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتُفْسِدُهَا. نَسْأَلُ اللَّهَ العَافِيَةَ.

٨٧ ـ تَذْهَبُ الدُّنْيَا شَيْئاً فَشَيْئاً، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ.

٨٨ ـ كَلَامُ أَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ نُورٌ وَبَرَكَةٌ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ فَصِيحٍ، وَكَلَامُ أَهْلِ الرِّيَاءِ وَالتَّكَلُّفِ ظُلْمَةٌ وَوَحْشَةٌ وَإِنْ كَانَ فَصِيحاً.

٨٩ ـ مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بَصِيرَةٌ تَهْدِيهِ طَالَ تَعَبُ المُعَلِّمِينَ وَالمُؤَدِّبِينَ فِيهِ.

٩٠ ـ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى الحَقِّ وَأَهْلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالذُّلِّ لِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ مُصِيبَتَانِ وَعُقُوبَتَانِ، وَتَفُوتُهُ مَنْقَبَتَانِ وَمَثُوبَتَانِ.

٩١ ـ المُؤْمِنُ يَتَجَوَّزُ فِي العَادَاتِ، وَلَا يَتَجَوَّزُ فِي العِبَادَاتِ، وَالمُنَافِقُ يَتَجَوَّزُ فِي العِبَادَاتِ، وَلَا يَتَجَوَّزُ فِي العَادَاتِ.

٩٢ ـ مَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ وِرْدٍ وَصَدَرٍ وَقَعَ مِنْهَا فِي البَلَايَا الكُبَرِ.

٩٣ ـ رُبَّ دَاعٍ إِلَى الهَوَى وَالطَّبِيعَةِ وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ.

٩٤ ـ العِلْمُ عَلَيْكَ حَتَّى تَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلْتَ بِهِ كَانَ العِلْمُ لَكَ.

٩٥ ـ مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الغَبْرَاءُ أَشَدَّ حَمَاقَةً مِمَّنْ يَعْلَمُ حُسْنَ شَيْءٍ وَهُوَ لَهُ تَارِكٌ وَيَعْلَمُ قُبْحَ شَيْءٍ وَهُوَ لَهُ فَاعِلٌ.

٩٦ ـ دَبِّرْ ثُمَّ افْعَلْ، فَكِّرْ ثُمَّ قُلْ.

٩٧ ـ كَفَى أَهْلَ الآخِرَةِ شَرَفاً أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُحِبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، وَكَفَى أَهْلَ الدُّنْيَا ضَعَةً أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُكْرَهُ أَنْ يُذْكَرَ فِي جُمْلَتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ.

٩٨ ـ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ أَنْ تَلْتَمِسَ مِنْ أَصْحَابِكَ الدُّنْيَا وَهُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكَ الآخِرَةَ.

٩٩ ـ قِيمَةُ الإِنْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا: مَا يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ.

١٠٠ ـ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَشِيرَ إِنْسَاناً فَقَدِّرْ أَنَّهُ يُشِيرُ عَلَيْكَ بِمُخَالَفَةِ مَا تُحِبُّ، فَإِنْ رَأَيْتَ امْتِثَالَهُ، وَإِلَّا فَدَعْ.

١٠١ ـ رَأْيُ الإِنْسَانِ فَرْعُ عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَأْخُذُ بِهِ.

١٠٢ ـ مَنْ سَلَكَ مَلَكَ، وَمَنْ حَادَ هَلَكَ.

١٠٣ ـ مَنْ حَفِظَ الفُؤَادَ، حُفِظَ مِنَ الفَسَادِ.

١٠٤ ـ مَنْ حَفِظَ الجَوَارِحَ، أَمِنَ الجَوَائِحَ.

١٠٥ ـ كَادَ العَاقِلُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ عَدُوٌّ، وَكَادَ الأَحْمَقُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ.

١٠٦ ـ فِي أَسْفَارِ الأَرْبَاحِ رَاحَةُ الأَرْوَاحِ، وَفِي أَسْفَارِ الأَخْطَارِ تَعَبُ الظَّوَاهِرِ وَالأَسْرَارِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

بحمد الله تعالى

ترجمة مختصرة

للعلامة محمد حياة السندي

هو الشيخ العلامة المحدِّث الفهامة، حاملُ لواء السُّنة بمدينة سَيِّدِ الإنس والجنة: محمد حياة بن إبراهيم السِّندي[1].

قال في شأنه تلميذُه العلامةُ أبو الحسن السندي الصغير: «هو عمدة الأعلام المحدِّثين، وبقية النقاد والمسندين، عالِم المدينة في عصره، الممتاز بالذبِّ عن الخبر ونَصْرِه، حميد الذات وفريد الصفات، نعمة الله المهداة»[2].

وأثنى عليه القنوجي قائلا: «كان من العلماء الربانيين، وعظماء المحدِّثين، قَرَن العلمَ بالعمل، وزان الحسن بالحلل، شدّ حزامه على درس الحديث النبوي، وأفنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي، وكان يعظ الناس قبل صلاة الصبح بالمسجد الشريف، وانتفع به خلق كثير من العرب والعجم، وأقبل عليه أهل الحرمين ومصر والشام والروم والهند بالاعتقاد والانقياد»[3].

ووصفه المرادي قائلا: «كان ورعاً متجرداً منعزلا عن الخَلْق إلا في وقت قراءة

---

(١) للتوسع في ترجمته ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل بن علي المرادي (ج ٤/ ص٣٤٦، طبعة دار ابن حزم؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام للحسني (ص٨١٥) فهرس الفهارس للكتاني (ج١/ ص ٣٥٧).

(٢) نقله محقق كتاب «الجُنة في عقيدة أهل السنة» (ص ١٨) ونقل كثيرا من ثناء العلماء على الشيخ محمد حياة فليراجع.

(٣) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (ج٣/ص١٦٩).

الدروس، مثابراً على أداء الجماعات في الصف الأول من المسجد النبوي»[١].

«عاش عيشة مرضية، ولقي الله سبحانه يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة (١١٦٣هـ) ودفن بالبقيع»[٢].

أخذ العلوم عن الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق المدقق النحرير الفهامة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي[٣] الأصل والمولد، الحنفي نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة (١١٣٨ هـ) وهو صاحب الحواشي الست على الكتب الست والحاشية على مسند الإمام أحمد وغيرها[٤].

وأخذ علم الحديث خاصة وأمهات كتب السنة رواية ودراية عن الشيخ الحافظ عبد الله بن سالم المكي بأسانيده المتصلة إلى أصحابها، وأجازه في جميعها، وقد ذكرها العلامة محمد حياة السندي في رسالة على النحو التالي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع الكبير للترمذي، والسنن الصغرى للنسائي، وسنن ابن ماجة، ومسند الدارمي، وسنن الدارقطني، ومسند الإمام أبي حنيفة، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، ومسند الطيالسي، ومعجم الصغير للطبراني، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وسنن البيهقي ودلائل النبوة له أيضا، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والأربعين النووية، والمصابيح للبغوي، والجامع الكبير والصغير للجلال السيوطي، والحديث المسلسل[٥].

---

(١) قاله في سلك الدرر (ج٤/ص٣٤).

(٢) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (ج٣/ص١٦٩).

(٣) انظر ترجمته في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل بن علي المرادي (ج ٤/ ص٦٦) دار ابن حزم ط٣ – ١٤٠٨هـ.

(٤) انظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (ص٨١٥).

(٥) والرسالة تقع ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس رقم ٨٤٨٤

ترك الشيخ محمد حياة السندي جملة من الكتب والرسائل النافعة، ذكر بعضها صاحب «سلك الدرر» كشرح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وشرح الأربعين النووية وقد طبع، وشرح الحكم الحدادية التي نقدم لها، وشرح الحكم العطائية وقد حققته ونُشِرَ نشرتان بفضل الله تعالى.

وله أيضا كتاب «الجُنَّة في عقيدة أهل السنة»، حققها د. عبد القيوم السندي، نشرتها مكتبة الأسدي سنة ٢٠٠٤م.

وله رسائل متعددة لطيفة وتحقيقات عجيبة منيفة، وقد ذكر أكثرها محقق كتاب الجُنَّة (ص ٢٢، ٢٣).

❖ من وصاياه النفيسة ومواعظه البليغة:

تقدمت الإشارة إلى أن العلامة محمد حياة السندي كان من أئمة المسجد النبوي في المدينة المنورة، وقد كان يعقد فيه مجالس التعليم، ويظهر من مؤلفاته قربه من عوام المسلمين ومحاولته تذليل العلوم الصعبة لإفهامهم، وأيضا فقد كان واعظاً شديد العناية بصلاح حال المؤمنين، ومن مواعظه الجامعة لكل فضيلة قوله:

«يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَوَّلًا مَا يُصَحِّحُ بِهِ اعْتِقَادَهُ، ثُمَّ يَتَعَلَّمُ مَا يَقْدِرُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ، وَاجْتِنَابِ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الأَفْعَالِ، ثُمَّ يَجْتَهِدَ فِي إِتْيَانِ المَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ المَنْهِيَّاتِ، خَالِصاً لِوَجْهِ رَبِّ المَخْلُوقَاتِ، وَيُبَالِغَ فِي التَّوبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ مِنْ جَمِيعِ الخَطِيئَاتِ، وَيَرَى نَفْسَهُ أَحْقَرَ المَوْجُودَاتِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَوْلَاهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ، وَيَذْكُرَ المَوْتَ وَمَا يُلَاقِي عِنْدَهُ مِنَ السَّكَرَاتِ، وَالقَبْرَ وَمَا فِيهِ مِنَ الصُّعُوبَاتِ، وَلْيَتَزَوَّدْ

لَهُ أَحْسَنَ الحَسَنَاتِ، وَيَذْكُرَ النُّشُورَ مِنَ القُبُورِ وَمَا يُلَاقِي بَعْدَهُ مِنَ الأَهْوَالِ المُنْكَرَاتِ، وَلَا يَنْسَى الحِسَابَ وَإِعْطَاءَ الكِتَابِ، وَرُجْحَانَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَلَا يَغْفَلَ عَنِ النَّارِ الَّتِي فِيهَا أَشَدُّ العُقُوبَاتِ، وَلْيَتَّخِذْ جُنَّةً مِنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ تَقِيهِ حَرَّهَا وَشَرَّهَا بِفَضْلِ خَالِقِ المَصْنُوعَاتِ، وَلْيَتَشَوَّقْ إِلَى الجَنَّةِ الَّتِي فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ، فَفِيهَا فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ، وَلِمِثْلِهَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ، وَإِلَيْهَا فَلْيَشْتَاقِ المُشْتَاقُونَ. اللَّهُمَّ نَجِّنَا مِنْ نِقْمَتِكَ، وَأَدْخِلْنَا جَنَّتَكَ بِرَحْمَتِكَ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِكَ. كتبه محمد حياة السندي المدني عفى الله عنه تعالى[1]

❖ أنموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي:

عثرت ـ بفضل الله تعالى ـ على أنموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي بعد الرسالة التي تضمنت أسانيده في كتب الحديث النبوي، وتوجد تلك الرسالة ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس، برقم (٨٤٨٤)، ومكتوب الشيخ السندي هو إجازة لأحد تلاميذه ممن حضر عنده قراءة قطعة من صحيح البخاري، كتبها سنة وفاته رحمه الله تعالى.

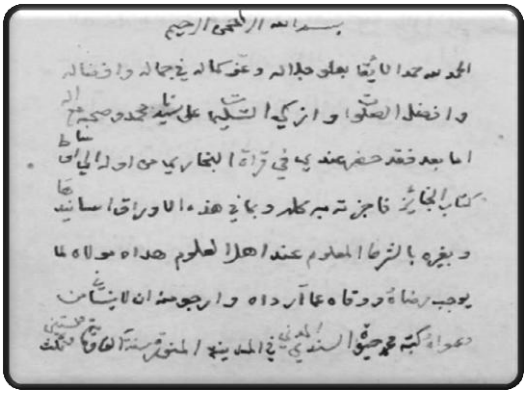

(١) (ورقة ١١٦/أ) ضمن مخطوط رقم ٨٤٨٤ بدار الكتب الوطنية تونس.

شَرْحُ الحِكَمِ

الحَدَّادِيَّـة

تأليف الشيخ العلَّامة

محمد حياة السندي المدني

(ت ١١٦٣هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ لاَ تُحْصَى، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى حَبِيبِهِ الَّذِي حَبَاهُ مَا لاَ يُقْصَى، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ الَّذِينَ بَلَغُوا بِبَرَكَتِهِ الأَمَلَ الأَقْصَى.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَقُولُ الفَقِيرُ إِلَى رَبِّهِ القَدِيرِ، مُحَمَّدٌ حَيَاة السِّنْدِيُّ ثُمَّ المَدَنِيُّ عَفَى اللهُ عَنْهُ: هَذَا قَدْرٌ يَسِيرٌ فِي حَلِّ حِكَمِ قُطْبِ الأَوَانِ، فَرِيدِ الأَقْرَانِ، وَحِيدِ الأَزْمَانِ، ذِي العِلْمِ وَالعِرْفَانِ، السَّيِّدِ الجَلِيلِ عَبْدِ اللهِ بِنْ عَلَوِيٍّ الحَدَّادِ «بَاعَلْوِي»، جَمَعَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَعَ جَدِّهِ ﷺ فِي أَعْلَى غُرَفِ الجِنَانِ.

وَمَقَامِي فِي جَنْبِ مَقَامِهِ كَمَقَامِ العُصْفُورِ فِي جَنْبِ مَقَامِ الصُّقُورِ، أَوْ مَقَامِ الثَّعْلَبِ فِي جَنْبِ مَقَامِ الأَسَدِ، وَلَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِحَلِّ كَلاَمِهِ العَالِي، لَكِنِّي تَطَفَّلْتُ عَسَى الله تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي شَيْئًا مِمَّا رَزَقَهُ.

١ ـ الخَلْقُ مَعَ الحَقِّ لاَ يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ فِي إِحْدَى الدَّائِرَتَيْنِ، إِمَّا فِي دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ، أَوْ فِي دَائِرَةِ الحِكْمَةِ. فَمَنْ كَانَ اليَوْمَ فِي دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ كَانَ غَدًا فِي دَائِرَةِ الفَضْلِ، وَمَنْ كَانَ اليَوْمَ فِي دَائِرَةِ الحِكْمَةِ كَانَ غَدًا فِي دَائِرَةِ العَدْلِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**الخَلْقُ**) الَّذِي هُوَ مَظَاهِرُ صِفَاتِ الحَقِّ (**مَعَ الحَقِّ لاَ يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ فِي إِحْدَى الدَّائِرَتَيْنِ، إِمَّا**) أَنْ يَكُونَ (**فِي دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ، أَوْ**) أَنْ يَكُونَ (**فِي دَائِرَةِ الحِكْمَةِ**.

(**فَمَنْ كَانَ اليَوْمَ**) الَّذِي هُوَ وَقْتُ ظُهُورِ مَا سَبَقَ فِي الأَزَلِ (**فِي دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ**) بِأَنْ يُوَفِّقَهُ اللهُ تَعَالَى فِي بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ بِتَحْصِيلِ مَا يُرْضِيهِ وَاحْتِرَازِ مَا يَكْرَهُهُ (**كَانَ غَدًا**) حِينَ يَظْهَرُ جَزَاءُ الأَعْمَالِ (**فِي دَائِرَةِ الفَضْلِ**)؛ إِذْ مَا يُعْطِيهِ الكَرِيمُ عَلَى عَمَلِهِ بِمُجَرَّدِ فَضْلِهِ وُجُودِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِقًّا لِذَلِكَ بِعَمَلِهِ[(١)]؛ وَهَلْ عَمَلُهُ مِنْهُ[(٢)] ؟! أَوْ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ حَتَّى يَكُونَ سَبَبًا لِاسْتِحْقَاقِ

(١) قال العلامة إبراهيم اللقاني في شرحه الصغير على جوهرة التوحيد: «طاعات العبد وإن كثرت لا تفي بشكر بعض ما أنعم الله به عليه، بل ولا بنعمة الإقدار عليها والتوفيق لها، فكيف يتصور استحقاقه عوضاً عليها؟! ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضاً لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضاً. (هداية المريد، ص ١٨٠، ط١، دار مكتبة المعارف)

(٢) يعني أن أفعال العبد ليست صادرة منه على سبيل الخلق والاختراع من العدم إلى الوجود، وإن كانت كسباً له بحيث تتعلق بها قدرته ويشعر من نفسه نوعا من الاختيار فيها، وهذا تفريع على وجوب انفراد الله تعالى بالخلق والاختراع لكل الممكنات بما فيها أفعال العباد، فهو تعالى الخالق لأفعالنا الموجد لها من العدم إلى الوجود، خيراً=

الثَّوَابِ ؟! وَإِنَّمَا هُوَ هِبَةُ الوَهَّابِ.

(وَمَنْ كَانَ اليَوْمَ فِي دَائِرَةِ الحِكْمَةِ كَانَ غَدًا) يَوْمَ القِيَامَةِ **(فِي دَائِرَةِ العَدْلِ)** فَإِنَّ عِقَابَ اللَّهِ تعَالَى العُصَاةَ عَدْلٌ وَلَيْسَ بِظُلْمٍ؛ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وَحَلُّ هَذَا المَقَامِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ مَوْصُوفًا فِي الأَزَلِ بِأَوْصَافِ الرَّحْمَةِ كَالجُودِ وَالكَرَمِ وَالرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ وَالإِحْسَانِ، وَمَوْصُوفًا بِصِفَاتِ النِّقْمَةِ كَالقَهْرِ وَالإِضْلاَلِ وَالانْتِقَامِ، فَقَسَّمَ خَلْقَهُ بِإِرَادَتِهِ قِسْمَيْنِ:

ـ فَمِنْهُمْ مَنْ قَسَمَ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مَظَاهِرَ أَوْصَافِ الرَّحْمَةِ فِي الأَغْلَبِ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَخْلُونَ عَنِ الحِكْمَةِ وَالعَدْلِ.

ـ وَمِنْهُمْ مَنْ قَسَمَ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مَظَاهِرَ صِفَاتِ النِّقْمَةِ المُشْتَمِلَةِ عَلَى الحِكْمَةِ فِي الأَغْلَبِ، وَإِنْ كَانُوا لاَ يَخْلُونَ عَنِ الرَّحْمَةِ وَالفَضْلِ.

ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنَ العَدَمِ إِلَى فَضَاءِ الوُجُودِ، فَسَهَّلَ لِكُلٍّ مَا قَسَمَ لَهُ، ثُمَّ إِذَا أَوْرَدَهُمْ فِي مَوْرِدِ القِيَامَةِ جَعَلَ أَهْلَ دَائِرَةِ الرَّحْمَةِ بِفَضْلِهِ فِي آلاَءٍ لاَ تُحْصَى، وَجَعَلَ أَهْلَ دَائِرَة الحِكْمَةِ بِعَدْلِهِ فِي بَلاَيَا لاَ تُقْصَى.

= كانت أو شراً، فلا يجب عليه إثابة أو عقاب، فإن أثابنا على فعل الخير بمحض فضله، وإن عذبنا على فعل الشر بمحض العدل، وعلى ذلك دلت البراهين العقلية والآيات القرآنية، قال الإمام محمد بن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]: «فيه دليل لأهل السنة على أن الأفعال كلها خَلْقٌ لِلَّه، وأنه لا يَجِبُ على الله شيء، والثواب إنما هو تفضُّلٌ منه ورحمة. (تقييد السلاوي ص ٢٦٢، تحقيق د. الزار ـ رسالة جامعية في كلية الشريعة وأصول الدين، تونس).

فَمَنْ وَفَّقَهُ لِلخَيْرِ فَلاَ يَحْمَدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَمَنِ ابْتُلِي بِالضَّيْرِ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

٢ ــ مَا تَرَكَ مِنَ الكَمَالِ شَيْئًا مَنْ أَقَامَ نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ مَقَامَ عَبْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ.

(مَا تَرَكَ مِنَ الكَمَالِ) الَّذِي يَنْبَغِي لِأَهْلِ العُبُودِيَّةِ **(شَيْئًا مَنْ أَقَامَ نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ مَقَامَ عَبْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ)** بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ كَمَا يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ ــ الَّذِي هُوَ إِنْسَانٌ مِثْلُهُ ــ كَمَالَ إِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعَ مَرْضَاتِهِ وَغَايَةَ تَوَاضُعِهِ مَعَهُ وَانْكِسَارِهُ لَدَيْهِ، كَذَلِكَ يُحِبُّ اللهُ العَظِيمُ مِنْهُ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ الأَذَلُّ وَرَبَّهُ الأَجَلُّ، فَيَسْعَى فِيمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى.

وَكَمَا يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ مُخَالَفَتَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ وَمُعَانَدَةَ مَرْضَاتِهِ وَتَكَبُّرَهُ وَأَنَانِيَّتَهُ، كَذَلِكَ اللهُ القَهَّارُ يَكْرَهُ مِنْهُ ذَلِكَ، فَيَجْتَهِدُ فِي تَرْكِ مَا يَكْرَهُ، وَهَذَا هُوَ الإِنْسَانُ الكَامِلُ، وَمَنْ سِوَاهُ لاَ يُعْبَأُ بِهِ.

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ العَبِيدَ وَالإِمَاءَ أَعْظَمَ دَلِيلٍ عَلَى الحَثِّ عَلَى طَاعَتِهِ وَالزَّجْرِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَمَا يَعْتَبِرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ.

٣ ــ النَّائِمُ يُوقَظُ، وَالغَافِلُ يُذَكَّرُ، وَمَنْ لَمْ يُجْدِ فِيهِ التَّذْكِيرُ وَلاَ التَّنْبِيهُ فَهُوَ مَيِّتٌ.

(النَّائِمُ يُوقَظُ) أَيِ المُعْرِضُ عَنِ اللهِ تَعَالَى يُنَبَّهُ عَلَى إِعْرَاضِهِ وَيُقَبَّحُ لَدَيْهِ،

وَيُحَثُّ عَلَى الإِقْبَالِ إِلَيْهِ وَيُحَسَّنُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

(**وَالغَافِلُ**) عَنِ اللَّهِ (**يُذَكَّرُ**) غَفْلَتَهُ وَيُبَيَّنُ لَهُ قُبْحُهَا، وَيُرَغَّبُ فِي ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ.

(**وَمَنْ لَمْ يُجْدِ**) لَمْ يَنْفَعْ (**فِيهِ التَّذْكِيرُ وَلاَ التَّنْبِيهُ فَهُوَ مَيِّتٌ**) قَلْبُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، فَالاشْتِغَالُ بِإِيقَاظِهِ عَنْ سَنَنِ إِعْرَاضِهِ وَتَذْكِيرِهِ لاَ طَائِلَ تَحْتَهُ.

٤ ــ إِنَّمَا تَنْفَعُ المَوْعِظَةُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا بقَلْبِهِ، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

(**إِنَّمَا تَنْفَعُ المَوْعِظَةُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا بقَلْبِهِ**) الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ قَبُولِهَا، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا بِلُبِّهِ، وَتَلَقَّاهَا تَلَقِّيًا حَسَنًا فَحَفِظَهَا، وَسَعَى فِي العَمَلِ عَلَى مُقْتَضَاهَا.

(﴿**وَمَا يَتَذَكَّرُ**﴾) عِنْدَهَا أَوْ بِهَا (﴿**إِلَّا مَن يُنِيبُ**﴾) يُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى مَوْلاَهُ، فَيُقْبِلُ عَلَيْهَا وَيَعْمَلُ بِهَا لَعَلَّهُ يَصِلُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ، وَلاَ تَنْفَعُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، وَالأَوَّلُ كَأَرْضٍ طَيِّبَةٍ، وَالثَّانِي كَحَجَرٍ صَلْدٍ أَمْلَس وَقَعَ عَلَيْهِمَا غَيْثٌ.

٥ ـ كَيْفَ يَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يُرْضِي المَخْلُوقِينَ بِسَخَطِ رَبِّ العَالَمِينَ؟!

(**كَيْفَ يَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ**) الكَامِلِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِجَلاَلِ اللَّهِ وَجَمَالِهِ،

وَجَعَلُوهُ مَقْصُودَهُمْ وَمَحْبُوبَهُمْ، لاَ يَرْجُونَ إِلَّا خَيْرَهُ، وَلاَ يَخَافُونَ إِلَّا قَهْرَهُ (**مَنْ يُرْضِي**) بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ (**المَخْلُوقِينَ**) الَّذِينَ لاَ يَمْلِكُونَ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا لِأَنْفُسِهِمْ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ (**بِسَخَطِ رَبِّ العَالَمِينَ**) الَّذِي سَخَطُهُ أَعْلَى المَصَائِبِ وَأَدْهَاهَا، وَمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ أَخَذَ بِرَقَبَتِهِ، وَأَوْلَجَهُ فِي حُفْرَةِ نِقْمَتِهِ؟!

فَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ لَمْ يُرْضِ غَيْرَهُ بِسَخَطِهِ، بَلْ أَرْضَاهُ بِمَا يَرْضَاهُ، وَلَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ مَنْ عَدَاهُ وَلاَ بِرِضَاه. وَمَنْ يَكُونُ غَيْرُهُ حَتَّى يُرْضَى بِسَخَطِهِ؟! وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ عَمِيَ قَلْبُهُ.

٦ ــ العَادَةُ إِذَا رَسَخَتْ نَسَخَتْ.

(**العَادَةُ**) وَهُوَ العَوْدُ إِلَى شَيْءٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، سَوَاءٌ كَانَتْ فِي الخَيْرِ أَوْ فِي الشَّيْرِ (**إِذَا رَسَخَتْ**) فِيمَنِ اعْتَادَهَا (**نَسَخَتْ**) أَزَالَتْ مَا كَانَ قَبْلَهَا.

فَمَنِ اعْتَادَ الخَيْرَ نُسِخَ ضَيْرُهُ، وَكَذَا العَكْسُ، وَمَنِ اعْتَادَ السُّنَّةَ نُسِخَتْ البِدْعَةُ، وَكَذَا العَكْسُ، وَمَنِ اعْتَادَ التَّشْمِيرَ فِي عِبَادَةِ الرَّبِّ القَدِيرِ نُسِخَ تَقْصِيرُهُ، وَكَذَا العَكْسُ، فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعْتَادَ التَّقَرُّبَ إِلَى الرَّحْمَنِ بِمَا يُحِبُّهُ كَيْ يُنْسَخَ بُعْدُهُ عَنْهُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَادَ البُعْدَ عَنْهُ بِمَا يَكْرَهُهُ لِئَلَّا يُنْسَخَ تَقَرُّبُهُ.

٧ ــ لاَ تَدُومُ مَعَ الكُلْفَةِ أُلْفَةٌ.

(**لاَ تَدُومُ مَعَ الكُلْفَةِ**) مَعَ التَّكَلُّفِ لِلْإِخْوَانِ بِمَا يَثْقُلُ عَلَى الإِنْسَانِ (**أُلْفَةٌ**)

بَيْنَ مَنْ يُعَاشِرُ بِذَلِكَ، بَلْ تَنْقَطِعُ عَنْ قَرِيبٍ، فَيَنْبَغِي لِكُلٍّ أَنْ لاَ يَتَكَلَّفَ لِأَخِيهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ، وَلاَ يُرِيدَ مِنْهُ مَا يَعْسُرُ عَلَيْهِ.

وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ لاَ تَدُومُ الأُلْفَةُ مَعَ اللَّهِ وَلاَ الأُنْسُ بِشُهُودِهِ وَالتَّلَذُّذُ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ ذَهَابِ كُلْفَةِ الطَّاعَةِ مِنَ الإِنْسَانِ بِأَنْ تَتَسَهَّلَ عَلَيْهِ وَتَصِيرَ أَلَذَّ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

٨ ــ مَنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ الفَقْرَ قَلِيلُ المَالِ، لَمْ يُحَصِّلْ لَهُ الغِنَى كَثِيرُهُ. كَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِقَلِيلِ العِلْمِ، فَهُوَ مِنَ الانْتِفَاعِ بِكَثِيرِهِ أَبْعَدُ.

(مَنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ الفَقْرَ) حَاجَتَهُ إِلَى ضَرُورَةِ مَعَاشِهِ الَّتِي تَنْقَضِي بِأَدْنَى شَيْءٍ مَنَ الدُّنْيَا **(قَلِيلُ المَالِ)** وَهُوَ مَا يَكْفِيهِ لِمَعَاشِهِ فِي لِبَاسِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَسْكَنِهِ وَأَدَاءِ حُقُوقِهِ، وَالإِنْسَانُ يَكْفِيهِ فِي أَصْلِ مَعَاشِهِ كِسْرَةٌ تَسُدُّ جَوْعَتَهُ، وَشَرْبَةٌ تَدْفَعُ عَطْشَتَهُ، وَكِسَاءٌ يُوَارِي جَسَدَهُ، وَمَسْكَنٌ يُكِنُّهُ مِنَ الحَرِّ وَالبَرْدِ.

(لَمْ يُحَصِّلْ لَهُ الغِنَى) عَنْ حَاجَاتِهِ الَّتِي تَأْمُلُهَا نَفْسُهُ **(كَثِيرُهُ)** بَلْ كُلَّمَا يَكْثُرُ مَالُهُ تَكْثُرُ آمَالُهُ، فَلاَ تَنْقَضِي، إِلَى أَنْ يَأْخُذَ المَوْتُ بِعُنُقِهِ، وَيَجُرُّهُ إِلَى حُفْرَتِهِ، وَحِيداً مَسْلُوبًا عَنْهُ مَا جَمَعَهُ، تَارِكًا إِيَّاهُ لِمَنْ يَتَمَتَّعُ بِكَدِّهِ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ بِهِ فِي لَحْدِهِ.

(كَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِقَلِيلِ العِلْمِ) وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ طَاعَةَ اللهِ سَبَبُ ثَوَابِهِ وَرِضَاهُ، وَأَنَّ مَعْصِيَتَهُ سَبَبُ عِقَابِهِ وَغَضَبِهِ. وَالانْتِفَاعُ بِهِ: إِذَا عَلِمَ شَيْئًا مَنِ الطَّاعَةِ فَعَلَهُ لَهُ تَعَالَى، وَإِذَا عَلِمَ شَيْئًا مِنَ المَعْصِيَةِ تَرَكَهُ لَهُ.

(فَهُوَ مِنَ الانْتِفَاعِ بِكَثِيرِهِ أَبْعَدُ) بَلْ هُوَ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، وَإِنْ قَطَعَ فِي تَحْصِيلِهِ أَسْفَاراً، وَلاَ يَزْدَادُ مِنَ اللهِ إِلَّا طَرْداً، وَلاَ فِي عِقَابِهِ إِلَّا إِصْرَاراً، وَلَوْلاَ حِلْمُهُ عَنْهُ لَقَلَبَهُ خِنْزِيراً أَوْ حِمَاراً، نَعُوذُ بِاللهِ الغَفَّارِ مِنِ ازْدِيَادِ طُغْيَانِنَا وَعِصْيَانِنَا مَعَ كَثْرَةِ عُلُومِنَا.

٩ ــ مُنَازِعُ الأَقْدَارِ: مَنِ اسْتَقْبَحَ مِنْ أَخِيهِ مَا لاَ يَدْخُلُ تَحْتَ الاخْتِيَارِ.

(مُنَازِعُ الأَقْدَارِ) الَّتِي قَدَّرَهَا القَهَّارُ، وَأَرَادَ جَرَيَانَ المَقْدُورَاتِ عَلَى وَفْقِهَا الجَبَّارُ **(مَنِ اسْتَقْبَحَ مِنْ أَخِيهِ)** فِي الإِسْلاَمِ **(مَا لاَ يَدْخُلُ تَحْتَ الاخْتِيَارِ)** الاحْتِرَازُ عَنْهُ، بِأَنْ لاَ يَقْدِرَ عَلَى فَكِّ نَفْسِهِ عَنْهُ.

وَمَا يَلْتَبِسُ بِهِ الإِنْسَانُ لاَ يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ طَاعَةً أَوْ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهَا، أَوْ يَكُونَ مَعْصِيَةً أَوْ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهَا، أَوْ لاَ يَكُونُ طَاعَةً وَلاَ مَعْصِيَةً وَلاَ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهِمَا.

فَاسْتِقْبَاحُ تَرْكِ الطَّاعَةِ وَمَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهَا، وَفِعْلُ المَعْصِيَةِ وَمَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهَا مَطْلُوبٌ شَرْعًا، وَلَيْسَ فِيهِ مُنَازَعَةُ الأَقْدَارِ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَدَّرَهَا هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِاسْتِقْبَاحِ هَذِهِ الأُمُور.

وَاسْتِقْبَاحُ مَا سِوَى ذَلِكَ مُنَازَعَةٌ لَهَا؛ إِذْ لاَ يَكُونُ الأَمْرُ إِلَّا عَلَى طِبْقِهَا، وَلَمْ يَأْمُرْ مَنْ قَدَّرَهَا بِاسْتِقْبَاحِ ذَلِكَ.

وَمَنْ نَازَعَ الأَقْدَارَ تَعَرَّضَ لِلاعْتِرَاضِ عَلَى الحَكِيمِ القَهَّارِ.

١٠ ــ الرِّضَى بِالقَضَاءِ يَنْتَفِي مَعَهُ الاعْتِرَاضُ عَلَى اللهِ، وَيَبْقَى مَعَهُ الطَّلَبُ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَبَ، وَالهَرَبُ مِمَّا مِنْهُ يُهْرَبُ.

(**الرِّضَى بِالقَضَاءِ**) الصَّادِرِ مِنَ الحَكِيمِ العَلِيمِ الَّذِي أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ (**يَنْتَفِي مَعَهُ الاعْتِرَاضُ عَلَى اللهِ**) الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، وَأَنَّى لِلتُّرَابِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى رَبِّ الأَرْبَابِ؟!

(**وَيَبْقَى مَعَهُ الطَّلَبُ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَبَ**) وَهُوَ مَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ، فَمَنْ حَصَّلَ ذَلِكَ فَلْيَحْمَدَنَّ مَوْلاَهُ عَلَى مَا أَوْلاَهُ، (**وَالهَرَبُ مِمَّا مِنْهُ يُهْرَبُ**) وَهُوَ مَا يُبْعِدُ عَنْهُ.

فَمَنِ ابْتُلِيَ بِتَرْكِ مَا يَنْبَغِي تَحْصِيلُهُ وَفِعْلِ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلاَ يَتَّخِذ قَضَاءَ اللهِ تَعَالَى حُجَّةً فِي ذَلِكَ، بَلْ للهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاهُمْ أَجْمَعِينَ.

١١ ــ الدُّنْيَا المَحْمُودَةُ: هِيَ الَّتِي يَصِلُ بِهَا إِلَى فِعْلِ خَيْرٍ أَوْ يَنْجُو بِهَا مِنْ فِعْلِ شَرٍّ. وَالدُّنْيَا المُبَاحَةُ: هِيَ الَّتِي لاَ يَقَعُ بِسَبَبِهَا فِي تَرْكِ مَأْمُورٍ وَفِي رُكُوبِ مَحْظُورٍ. وَالدُّنْيَا المَذْمُومَةُ عَلَى لِسَانِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: هِيَ الَّتِي يَقَعُ بِسَبَبَهَا فِي تَرْكِ طَاعَةٍ أَوْ فِعْلِ مَعْصِيَةٍ.

(**الدُّنْيَا المَحْمُودَةُ**) بِنَحْوِ قَوْلِهِ ﷺ: «نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[1] (**هِيَ الَّتِي يَصِلُ بِهَا**) الإِنْسَانُ (**إِلَى فِعْلِ خَيْرٍ**) كَإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ وَإِيتَاءِ

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الزكاة، باب جمع المال من حله وما يتعلق بذلك، ذكر الإباحة للرجل الذي يجمع المال من حله إذا قام بحقوقه.

الصَّدَقَاتِ وَإِنْفَاقِ المَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالحَجِّ وَالأَوْقَافِ، (**أَوْ يَنْجُو بِهَا مِنْ فِعْلِ شَرٍّ**) كَالسَّرِقَةِ وَالغَصْبِ وَالنَّهْبِ وَأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، وَكَالتَّخَلُّصِ مِنَ الكُفَّارِ بِهَا.

(**وَالدُّنْيَا المُبَاحَةُ**) بِنَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ**﴾ [البقرة: ١٨٧] (**هِيَ الَّتِي لاَ يَقَعُ بِسَبَبِهَا فِي تَرْكِ مَأْمُورٍ**) مِنَ العِبَادَاتِ المَالِيَّةِ أَوِ البَدَنِيَّةِ وَالمُرَكَّبَةِ مِنْهُمَا، (وَ) لاَ يَقَعُ بِسَبَبِهَا (**فِي رُكُوبِ مَحْظُورٍ**) كَالإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ وَصَرْفِ المَالِ فِي المَعَاصِي، بِأَنْ يَتَمَتَّعَ بِمَا أَحَلَّ اللهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقَعَ بِهِ فِي تَرْكِ مَا فَرَضَ اللهُ أَوْ فِعْلِ مَا حَرَّمَهُ.

(**وَالدُّنْيَا المَذْمُومَةُ عَلَى لِسَانِ الكِتَابِ**) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن: ١٥]، (**وَالسُّنَّةِ**) كَقَوْلِهِ ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاَهُ»[1] (**هِيَ الَّتِي يَقَعُ بِسَبَبِهَا فِي تَرْكِ طَاعَةٍ أَوْ فِعْلِ مَعْصِيَةٍ.**)

وَالحَاصِلُ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِمَحْمُودَةٍ لِذَاتِهَا، وَلاَ مَذْمُومَةٍ لِذَاتِهَا، بَلْ لِمَا تَسَبَّبَتْ لَهُ؛ فَإِنْ تَسَبَّبَتْ لِلحَسَنَاتِ فَهِيَ مَحْمُودَةٌ، وَنِعْمَ عَوْنُ المَرْءِ المُسْلِمِ هِيَ عَلَى دِينِهِ وَأَمْرِ مَعَاشِهِ. وَإِنْ تَسَبَّبَتْ لِلسَّيِّئَاتِ فَهِيَ مَذْمُومَةٌ، وَبِئْسَ العَوْنُ هِيَ. وَإِنْ خَلَتْ عَنِ التَّسَبُّبِ لَهُمَا فَلَيْسَتْ بِمَحْمُودَةٍ وَلاَ مَذْمُومَةٍ، بَلْ هِيَ مُبَاحَةٌ.

(١) حديث حسن أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا.

١٢ ـ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكْتَفِي بِالإِشَارَةِ عَنِ التَّعْيِينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى التَّصْرِيحِ مَعَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُجْدِي فِيهِ إِلَّا التَّعْنِيفُ وَالتَّخْشِينُ. وَمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِذَا وَلاَ بِذَاكَ فَهُوَ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

وَلِهَؤُلاَءِ الأَرْبَعَةِ أَمْثَالٌ مِنَ البَهَائِمِ:

ـ فَمَثَلُ الأَوَّلِ مَثَلُ الدَّابَّةِ المُذَلَّلَةِ، تَسْتَغْنِي أَنْ تُلْجِمَهَا أَوْ تَضْرِبَهَا.

ـ وَمَثَلُ الثَّانِي مَثَلُ الدَّابَّةِ الَّتِي تَكْتَفِي بِالخَطَامِ، دُونَ الضَّرْبِ.

ـ وَمَثَلُ الثَّالِثِ مَثَلُ الدَّابَّةِ الَّتِي لاَ تَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالضَّرْبِ وَالزَّجْرِ.

ـ وَمَثَلُ الرَّابِعِ مَثَلُ الدَّابَّةِ إِنْ خَطَمْتَهَا أَوْ ضَرَبْتَهَا ازْدَادَتْ نُفُوراً.

(**مِنَ النَّاسِ**) الَّذِينَ هُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الفَهْمِ (**مَنْ يَكْتَفِي**) فِي فَهْمِ المُرَادِ (**بِالإِشَارَةِ**) إِلَيْهِ؛ لِجَوْدَةِ فَهْمِهِ وَذَكَائِهِ (**عَنِ التَّعْيِينِ**) بِالمُرَادِ.

(**وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَاجُ**) لِضَعْفِ فَهْمِهِ (**إِلَى التَّصْرِيحِ**) بِالمُرَادِ لِيَفْهَمَهُ، (**مَعَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ**) مَعَهُ فِي التَّعْلِيمِ لِيُقْبِلَ إِلَى مَا يُعَلَّمُ. وَالرِّفْقُ المُوجِبُ لِلإِقْبَالِ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ المُرَادِ، وَالغِلْظَةُ المُوجِبَةُ لِلتَّنَفُّرِ وَالإِعْرَاضِ تَسُدُّ بَابَ فَهْمِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ ﷺ: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(**وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُجْدِي**) لاَ يُؤَثِّرُ (**فِيهِ**)؛ لِقِلَّةِ فَهْمِهِ وَقَسْوَةِ قَلْبِهِ وَغِلْظَةِ طَبْعِهِ (**إِلَّا التَّعْنِيفُ**) التَّغْلِيظُ (**وَالتَّخْشِينُ**) لِيَلِينَ بِذَلِكَ قَلْبُهُ وَتُؤَثِّرَ فِيهِ المَوْعِظَةُ؛ لِأَنَّ

الحَجَرَ يُكَسَّرُ بِالحَدِيدِ وَيُفَتُّ بِالنَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩].

(وَمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِذَا) المَذْكُورِ مِنَ التَّعْنِيفِ وَالتَّخْشِينِ، وَلاَ يَرِقُّ حَجَرُ قَلْبِهِ بِغِلْظَتِهِمَا، **(وَلاَ)** يَنْتَفِعُ **(بِذَاكَ)** المُتَقَدِّمِ مِنَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ، وَلاَ يَنْجَذِبُ بِهِمَا إِلَى الخَيْرِ، **(فَهُوَ مِنَ الشَّيَاطِينِ)** الَّذِينَ لاَ يُؤَثِّرُ فِيهِمْ شَيْءٌ.

(وَلِهَؤُلاَءِ الأَرْبَعَةِ أَمْثَالٌ مِنَ البَهَائِمِ، فَمَثَلُ الأَوَّلِ) الَّذِي يَكْفِيهِ فِي فَهْمِ المُرَادِ وَالسَّيْرِ إِلَى رَبِّهِ الإِشَارَةُ **(مَثَلُ الدَّابَّةِ المُذَلَّلَةِ)** الَّتِي ذُلِّلَتْ لِلسَّيْرِ **(تَسْتَغْنِي)** لِتَذَلُّلِهَا عَنْ **(أَنْ تُلْجِمَهَا)** بِلِجَامٍ، **(أَوْ تَضْرِبَهَا)** بِنَحْوِ سَوْطٍ، بَلْ تَسْتَفْرِغُ وُسْعَهَا فِي سَيْرِهَا لِتَذَلُّلِهَا وَنَجَابَتِهَا.

(وَمَثَلُ الثَّانِي) الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى التَّصْرِيحِ مَعَ اللِّينِ **(مَثَلُ الدَّابَّةِ الَّتِي تَكْتَفِي)** فِي سَيْرِهَا **(بِالخطَامِ دُونَ الضَّرْبِ)** لِتَذَلُّلِهَا وَنَجَابَتِهَا مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ، وَمَنْ مَعَهَا يَحْتَاجُ إِلَى نَوْعِ عِلاَجٍ مَعَهَا.

(وَمَثَلُ الثَّالِثِ) الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى التَّخْشِينِ **(مَثَلُ الدَّابَّةِ الَّتِي لاَ تَسْتَقِيمُ)** لِمَنْ مَعَهَا فِي سَيْرِهَا **(إِلَّا بِالضَّرْبِ)** بِاليَدِ **(وَالزَّجْرِ)** بِاللِّسَانِ لِعَدَمِ تَذَلُّلِهَا وَغِلْظَةِ طَبْعِهَا، وَمَنْ مَعَهَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلاَجٍ قَوِيٍّ.

(وَمَثَلُ الرَّابِعِ) الَّذِي لاَ يُجْدِي فِيهِ هَذَا وَلاَ هَذَا **(مَثَلُ الدَّابَّةِ)** الجَمُوحِ الخَبِيثَةِ الخِصَالِ، **(إِنْ خَطَمْتَهَا)** بِالخطَامِ **(أَوْ ضَرَبْتَهَا)** بِالأَسْوَاطِ **(ازْدَادَتْ نُفُوراً)** وَلاَ تَنْقَادُ لِرَاكِبِهَا أَوْ سَائِقِهَا أَوْ قَائِدِهَا أَبَدًا، وَصَاحِبُهَا مَعَهَا فِي تَعَبٍ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ.

١٣ ــ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ حُرّاً فَاتْرُكْ كُلَّ أَمْرٍ إِنْ لَمْ تَتْرُكْهُ اخْتِيَاراً تَرَكْتَهُ اضْطِرَاراً.

(**إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ حُرًّا**) مِنْ رِقِّ الآثَارِ، خَالِصًا لِلغَفَّارِ، (**فَاتْرُكْ كُلَّ أَمْرٍ**) مِمَّا لاَ يُقَرِّبُكَ إِلَى مَوْلاَكَ (**إِنْ لَمْ تَتْرُكْهُ اخْتِيَاراً تَرَكْتَهُ اضْطِرَاراً**) وَهِيَ أُمُورُ الدُّنْيَا وَأَصْحَابُهَا وَلَذَّاتُهَا وَشَهَوَاتُهَا، فَإِنَّ المُشْتَغِلَ بِهَا عَبْدٌ لِمَا هَوَاهُ، مُعْرِضٌ عَنْ مَوْلاَهُ. وَتَارِكُهَا اخْتِيَارًا جَانِبًا عَنْهَا إِلَى رَبِّهَا عَبْدٌ لِـمَنْ أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ، وَالعِزُّ كُلُّهُ فِي العُبُودِيَّةِ لَهُ، وَالذُّلُّ كُلُّهُ فِي العُبُودِيَّةِ لِغَيْرِهِ.

١٤ ــ مَا عُرِفَ قَدْرُ الشَّيْءِ بِمِثْلِ ضِدِّهِ، وَلاَ تَسَلَّى المُصَابُ بِمِثْلِ ذِكْرِهِ مَنْ أُصِيبَ بِمِثْلِ مُصِيبَتِهِ.

(**مَا عُرِفَ قَدْرُ الشَّيْءِ بِمِثْلِ ضِدِّهِ**) لاَ يَعْرِفُ قَدْرَ القُرْبِ مِنَ الرَّبِّ إِلَّا مَنْ بَعُدَ بَعْدَ أَنْ ذَاقَ لَذَّتَهُ، وَلاَ يَعْرِفُ قَدْرَ الصِّحَّةِ إِلَّا مَنِ ابْتُلِيَ بِالمَرَضِ، وَلاَ يَعْرِفُ قَدْرَ الغِنَى إِلَّا مَنِ ابْتُلِي بِالفَقْرِ، وَهَلُمَّ جَرًّا. وَكَثِيرًا مَا يُعَرِّفُ اللهُ عَبِيدَهُ قَدْرَ نِعَمِهِ بِسَلْبِهَا وَالابْتِلاَءِ بِأَضْدَادِهَا.

(**وَلاَ تَسَلَّى المُصَابُ**) بِمُصِيبَةٍ مَا (**بِمِثْلِ ذِكْرِهِ مَنْ أُصِيبَ بِمِثْلِ مُصِيبَتِهِ**) لِأَنَّ المُصِيبَةَ إِذَا عَمَّتْ هَانَتْ، وَإِذَا اخْتَصَّتْ ثَقُلَتْ.

١٥ ــ مَنْ شَغَلَهُ حَقُّ رَبِّهِ عَنْ حُقُوقِ نَفْسِهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ فَهُوَ عَبْدُ

الحَضْرَةِ. وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحَقِّ نَفْسِهِ عَنِ القِيَامِ بِحَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ إِخْوَانِهِ فَهُوَ عَبْدُ الشَّهْوَةِ. وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَلَى القِيَامِ بِحُقُوقِ رَبِّهِ وَحُقُوقِ نَفْسِهِ فَهُوَ عَبْدُ الرِّيَاسَةِ. وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحَقِّ رَبِّهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَنِ القِيَامِ بِحُقُوقِ نَفْسِهِ فَهُوَ صَاحِبُ وِرَاثَةٍ.

(**مَنْ شَغَلَهُ حَقُّ رَبِّهِ**) لِاسْتِغْرَاقِهِ فِي شُهُودِهِ (**عَنْ حُقُوقِ نَفْسِهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ**) لِعَدَمِ شُهُودِهِ إِيَّاهُمْ لِفَنَائِهِ فِي حَبِيبِهِ (**فَهُوَ عَبْدُ الحَضْرَةِ**) انْغَمَسَ فِي المَعْرِفَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِغَيْرِهِ تَعَالَى فِيهِ بَقِيَّةٌ، وَهُوَ مَعْذُورٌ فِي هَذِهِ الحَالَةِ فِي تَقْصِيرِهِ فِي حُقُوقِ نَفْسِهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ لِكَوْنِهِ مَسْلُوبَ اللُّبِّ عَمَّا سِوَى مَعْرُوفِهِ.

(**وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحَقِّ نَفْسِهِ**) المَجْبُولَةِ عَلَى اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ الهَائِمَةِ فِي أَوْدِيَةِ الهَفَوَاتِ (**عَنِ القِيَامِ بِحَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ إِخْوَانِهِ فَهُوَ عَبْدُ الشَّهْوَةِ**) وَيَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ [الجاثية: ٢٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [الفرقان: ٤٤].

(**وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَلَى القِيَامِ بِحُقُوقِ رَبِّهِ وَحُقُوقِ نَفْسِهِ فَهُوَ عَبْدُ الرِّيَاسَةِ**) الدُّنْيَاوِيَّةِ، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ رِيَاسَةِ الآخِرَةِ، بَلْ هُوَ خَاسِرٌ فِي صَفْقَتِهِ، عَابِدٌ لِنَفْسِهِ.

(**وَمَنْ شَغَلَهُ القِيَامُ بِحَقِّ رَبِّهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَنِ القِيَامِ بِحُقُوقِ نَفْسِهِ فَهُوَ صَاحِبُ وِرَاثَةٍ**) نَبَوِيَّةٍ يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩]، وَمَنْ قَامَ بِالحُقُوقِ كُلِّهَا وَلَمْ يُشْغِلْهُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ فَهُوَ الكَامِلُ.

١٦ ـ عَجَبًا لِمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَهُوَ مِنْ تَحْصِيلِهَا عَلَى وَهْمٍ، وَمِنَ الانْتِفَاعِ بِمَا حَصَّلَهُ مِنْهَا عَلَى شَكٍّ، وَمِنْ تَرْكِهَا وَالخُرُوجِ مِنْهَا عَلَى يَقِينٍ.

عَجِبْتُ (**عَجَبًا لِمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا**) الَّتِي لاَ تَعْدِلُ عِنْدَ بَارِئِهَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا، وَهِيَ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ، قَرِيبَةُ الفَنَاءِ، قَلِيلَةُ البَقَاءِ، مَـمْلُوءَةٌ مِنَ البَلاَءِ وَاللَّأْوَاءِ، (**وَهُوَ مِنْ تَحْصِيلِهَا عَلَى وَهْمٍ**) يُحْتَمَلُ أَنْ يُحَصِّلَهَا وَيُحْتَمَلُ أَنْ لاَ، (**وَمِنَ الانْتِفَاعِ بِمَا حَصَّلَهُ مِنْهَا عَلَى شَكٍّ**) يُحْتَمَلُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ لاَ.

وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ جَمَعَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَأْمَلُهُ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ؟! وَلاَ يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ إِلَّا بِمَا قُدِّرَ لَهُ. وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَكْدَحُ فِي تَحْصِيلِ المَالِ وَيَتَمَتَّعُ بِهِ غَيْرُهُ؟!

وَعَجَبًا لِمَنْ لاَ يَطْلُبُ الآخِرَةَ وَهُوَ فِي كَوْنِهَا خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأَنَّهُ لاَ يَنْفَعُهُ فِيهَا إِلَّا مَا قَدَّمَ عَلَى يَقِينٍ، وَمِنَ الانْتِفَاعِ بِمَا عَمِلَ لَهَا فِيهَا ـ إِنْ مَاتَ مُؤْمِنًا ـ عَلَى جَزْمٍ.

(**وَمِنْ تَرْكِهَا**) أَيِ الدُّنْيَا (**وَالخُرُوجِ مِنْهَا عَلَى يَقِينٍ**) إِذْ كُلٌّ يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ لاَ يَخْلُدُ فِيهَا، بَلْ لاَبُدَّ لَهُ مِنَ المَوْتِ. لَكِنَّهَا بِزَخَارِفِهَا أَعْمَتْ بَصَائِرَ عُشَّاقِهَا، فَلاَ يَطْلُبُونَ إِلَّا إِيَّاهَا، وَلاَ يَهْتَمُّونَ إِلَّا لَهَا، وَلاَ يُسْرِعُونَ إِلَّا إِلَيْهَا.

١٧ ــ مَنْ تَعَوَّدَ الغَرَائِمَ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الغَنَائِمِ.

(**مَنْ تَعَوَّدَ الغَرَائِمَ**) أَيِ اعْتَادَ الآثَامَ (**حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الغَنَائِمِ**) مِنَ اللَّذَائِذِ

الرُّوحَانِيَّةِ وَالمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالفَضَائِلِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَالعَطَايَا الصَّمَدَانِيَّةِ وَالمَثُوبَاتِ الأُخْرَاوِيَّةِ، وَابْتُلِيَ بِأَشَدِّ النِّقَمِ بَعْدَ حِرْمَانِهِ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ، فَالسَّفِيهُ مَنْ ضَيَّعَ الدُّرَّةَ بِالذَّرَّةِ.

١٨ ــ إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى شَهْوَةٍ وَشَغَلَتْكَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ: أُجِيبُهَا فِي هَذِهِ، وَأُفَرِّغُ القَلْبَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَجَبْتَهَا إِلَيْهَا دَعَتْكَ إِلَى أَعْظَم مِنْهَا.

(**إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ**) المَجْبُولَةُ عَلَى الشَّهَوَاتِ المَكَّارَةُ الغَدَّارَةُ (**إِلَى شَهْوَةٍ**) مِنْ شَهَوَاتِهَا (**وَشَغَلَتْكَ**) لِتَحْصِيلِهَا، (**فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ**) فِي ضَمِيرِكَ: (**أُجِيبُهَا فِي هَذِهِ**) الشَّهْوَةِ (**وَأُفَرِّغُ القَلْبَ**) الَّذِي شَغَلَتْهُ بِشَهْوَتِهَا وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَوَجُّهِهِ إِلَى رَبِّهِ مِنْ مُطَالَبَتِهَا؛ فَإِنَّهُ لاَ يَفْرُغُ إِلَّا بَعْدَهَا.

(**فَإِنَّكَ إِنْ أَجَبْتَهَا إِلَيْهَا**) وَأَرْخَيْتَ عنَانَهَا فِيهَا (**دَعَتْكَ إِلَى أَعْظَمِ مِنْهَا**) وَلاَ تَزَالُ تَفْعَلُ بِكَ ذَلِكَ حَتَّى تُوبِقَكَ فِي حُفَرِ لَذَائِذِهَا، وَتُغْرِقَكَ فِي وَبَالِ هَفَوَاتِهَا.

أَلاَ سَمِعْتَ قَوْلَهُ ﷺ: «مَنْ رَعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»[1] ؟!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، بلفظ: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

وَكَمْ قَتَلَتْ هَذِهِ الغَدَّارَةُ بِمِثْلِ حِيلَتِهَا هَذِهِ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهَا كَيْ لاَ تُتْلِفَكَ بِدَوَاهِيهَا.

١٩ ــ لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَجِدَ فِي مُعَامَلَةِ الحَقِّ مَا يَجِدُ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ فِي شَهَوَاتِهِمْ مِنَ اللَّذَّةِ وَالحَلاَوَةِ.

(لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ) ذِي المَرَاتِبِ الكَثِيرَةِ **(حَتَّى يَجِدَ فِي مُعَامَلَةِ الحَقِّ)** بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ مِنَ اللَّذَائِذِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالأَذْوَاقِ القَلْبِيَّةِ **(مَا يَجِدُ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ فِي شَهَوَاتِهِمْ مِنَ اللَّذَّةِ وَالحَلاَوَةِ.)**

وَهَذَا أَقَلُّ مَرَاتِبِ البُلُوغِ إِلَى حَقِيقَتِهِ، وَإِلَّا فَاللَّذَائِذُ الرُّوحَانِيَّةُ الحَاصِلَةُ لِأَهْلِ المُعَامَلَةِ الكَامِلَةِ مَعَ اللهِ تَعَالَى أَعْلَى وَأَجَلُّ وَأَكْمَلُ وَأَبْلَغُ، لاَ يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا، لَوْ ذَاقَهَا المَحْجُوبُونَ لَتَقَاتَلُوا عَلَيْهَا.

٢٠ ــ المَؤُونَةُ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ أَقَلُّ مِنَ المَؤُونَةِ فِي تَخَوُّفِ إِفْشَائِهِ مِمَّنْ تُطْلِعُهُ عَلَيْهِ.

(المَؤُونَةُ) تَحَمُّلُ المَشَقَّةِ **(فِي كِتْمَانِ السِّرِّ)** الَّذِي يَنْزِعُ القَلْبُ إِلَى إِخْرَاجِهِ وَلاَ يَسْتَرِيحُ إِلَّا بَعْدَ إِظْهَارِهِ، **(أَقَلُّ مِنَ المَؤُونَةِ)** الكَائِنَةِ **(فِي تَخَوُّفِ إِفْشَائِهِ مِمَّنْ تُطْلِعُهُ عَلَيْهِ)** فَلاَ تُطْلِعْ عَلَى سِرِّكَ كُلَّ أَحَدٍ.

وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ أَطْلَعَ غَيْرَهُ عَلَى سِرِّهِ ثُمَّ صَارَ سَبَبًا لِهَلاَكِهِ أَوْ خَسَارَتِهِ أَوْ نَدَامَتِهِ حِينَ لاَ تَنْفَعُهُ النَّدَامَةُ.

٢١ ــ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ الرَّجُلِ: ثَنَاؤُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ. وَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى تَوَاضُعِهِ: رِضَاهُ بِالتَّأْخِيرِ فِي مَوْطِنٍ يَسْتَحِقُّ فِيهِ التَّقْدِيمَ. وَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى إِخْلاَصِهِ: عَدَمُ المُبَالَاةِ بِإِسْخَاطِ الخَلْقِ فِي جَنْبِ الحَقِّ.

(**أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ الرَّجُلِ ثَنَاؤُهُ**) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مُرَائِيًا فِيهِ (**عَلَى أَقْرَانِهِ**) الَّذِينَ صَاحَبُوهُ فِي عَصْرِهِ أَوْ إِقْلِيمِهِ أَوْ بَلَدِهِ، وَجُبِلَ أَرْبَابُ النُّفُوسِ عَلَى العَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ وَالتَّكَلُّمِ فِي أَعْرَاضِهِمْ وَإِفْشَاءِ مَسَاوِيهِمْ وَكِتْمَانِ مَحَاسِنِهِمِ، وَقَلَّمَا يَسْلَمُ قَرِينٌ لِقَرِينِهِ.

فَمَنْ أَثْنَى عَلَيْهِمْ عُلِمَ أَنَّهُ عَاقِلٌ أَدْرَكَ حَقَائِقَ الأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَقَدْ مَنَّ عَلَيْهِ حَيْثُ أَعْطَى فَضْلَهُ إِخْوَانَهُ الَّذِينَ صَاحَبُوهُ فِي قَرْنِهِ، وَالأَخُ الصَّادِقُ يَفْرَحُ بِفَضْلِ أَخِيهِ.

(**وَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى تَوَاضُعِهِ**) لِلَّهِ تَعَالَى (**رِضَاهُ بِالتَّأْخِيرِ**) مِنْ غَيْرِ تَصَنُّعٍ، بَلْ لِأَجْلِ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ أَحْقَر مِنْ غَيْرِهِ (**فِي مَوْطِنٍ يَسْتَحِقُّ فِيهِ التَّقْدِيمَ**) كَالمَحَافِلِ وَالمَجَالِسِ العِظَامِ وَمَجَامِعِ الخَلْقِ، وَلاَ يَتَأَتَّى هَذَا إِلَّا مِمَّنْ عَلِمَ أَنَّ نَفْسَهُ أَحْقَرُ الأَشْيَاءِ، وَأَنَّ غَيْرَهُ أَعَزُّ وَأَجَلُّ.

(**وَأَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى إِخْلاَصِهِ**) فِي عُبُودِيَّتِهِ لِرَبِّهِ (**عَدَمُ المُبَالَاةِ بِإِسْخَاطِ الخَلْقِ فِي جَنْبِ الحَقِّ**) وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ غَيْرُهُ تَعَالَى حَتَّى يُسْخَطَ لِأَجْلِهِ؟! وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ عَمِيَ قَلْبُهُ وَذَهَبَ عَقْلُهُ وَجَهِلَ رَبَّهُ.

٢٢ ــ الدُّنْيَا شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا: حُبُّ المَالِ. وَالآخَرُ: حُبُّ الجَاهِ. فَمَنْ زَهِدَ فِي المَالِ وَالجَاهِ فَهُوَ صِدِّيقٌ. وَمَنْ زَهِدَ فِي المَالِ دُونَ الجَاهِ فَهُوَ مُرَاءٍ. وَمَنْ زَهِدَ فِي الجَاهِ وَأَحَبَّ المَالَ فَهُوَ لَئِيمٌ. وَمَنْ أَحَبَّ المَالَ وَالجَاهَ كَانَ أَصْغَرُ عُقُوبَتِهِ حِرْمَانهُمَا.

مُعْظَمُ (**الدُّنْيَا**) الَّتِي شَغَلَتِ النَّاسَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَالِي الدَّرَجَاتِ فِي الجَنَّاتِ (**شَيْئَانِ**) لاَ ثَالِثَ لَهُمَا مِثْلُهُمَا:

ـ (**أَحَدُهُمَا: حُبُّ المَالِ**) الَّذِي جُبِلَ الإِنْسَانُ عَلَى حُبِّهِ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ، إِلَّا إِنْ رَحِمَهُ مَوْلاَهُ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَزْدَادُ حِرْصُهُمْ بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَهُوَ أَكْثَرُ فِي التُّجَّارِ.

ـ (**وَالآخَرُ: حُبُّ الجَاهِ**) عِنْدَ النَّاسِ، وَهُوَ أَكْثَرُهُ فِي الخُلَفَاءِ وَالأُمَرَاءِ وَالمُلُوكِ وَأَرْبَابِ المَنَاصِبِ وَالدُّوَلِ.

(**فَمَنْ زَهِدَ فِي المَالِ وَالجَاهِ**) رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ (**فَهُوَ صِدِّيقٌ**) وَهُوَ مَنْ صَفَى ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعَمَّرَا بِهِ.

(**وَمَنْ زَهِدَ فِي المَالِ دُونَ الجَاهِ فَهُوَ مُرَاءٍ**) حَيْثُ زَهِدَ فِي المَالِ لِجَلْبِ قُلُوبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَيَصِيرَ ذَا جَاهٍ عِنْدَهُمْ لِزُهْدِهِ فِيهِ، وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ المُتَزَهِّدَةِ وَالمُتَصَوِّفَةِ، وَهَؤُلاَءِ أَخْبَثُ مِنَ الأَرَاذِلِ.

(**وَمَنْ زَهِدَ فِي الجَاهِ وَأَحَبَّ المَالَ فَهُوَ لَئِيمٌ**) وَهَذَا حَالُ عَبِيدِ الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ وَأَمْثَالِهِمَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَى جَمْعِهَا، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا، وَإِذَا لَمْ

يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ»[1].

(وَمَنْ أَحَبَّ المَالَ وَالجَاهَ كَانَ أَصْغَرُ عُقُوبَتِهِ حِرْمَانهُمَا) فَلاَ يَنْتَفِعُ بِمَالِهِ ـ إِنْ حَصَّلَهُ ـ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى مَوْلاَهُ، وَلاَ يَبْقَى جَاهُهُ إِنْ حَصَّلَهُ، بَلْ عَنْ قَرِيبٍ يَزُولُ.

٢٣ ــ الأَرَاضِي ثَلاَثٌ:

ـ أَرْضٌ إِذَا سُقِيَتْ أَنْبَتَتِ العُشْبَ وَالكَلأَ، ومَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ الَّذِي يَتَعَلَّمُ وَيَفْهَمُ فِي العِلْمِ، فَكَمَا أَنَّ النَّبَاتَ لَيْسَ عَيْنَ المَاءِ وَلَكِنَّ المَاءَ سَبَب حُصُولِهِ، فَكَذَلِكَ الفَهْمُ لَيْسَ عَيْن العِلْمِ، وَلِكِنْ عَنِ العِلْمِ يَكُونُ.

ـ وَالأَرْضُ الثَّانِيَةُ تُمْسِكُ المَاءَ وَلاَ تُنْبِتُ الكَلأَ، وَمَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ مَثَلُ الَّذِي يَحْفَظُ العِلْمَ وَلاَ يَفْهَمُ فِيهِ، وَإِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ لاَ يَزِيدُ عَلَى مَا يَسْمَعُ فَهُوَ ذَاكَ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ شَيْئاً يُوَافِقُ مَا سَمِعَ مِنَ العِلْمِ فَهُوَ الأَوَّلُ.

ـ وَالأَرْضُ الثَّالِثَةُ أَرْضٌ لاَ تُنْبِتُ الكَلأَ وَلاَ تُمْسِكُ المَاءَ، وَمَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ مَثَلُ مَنْ لاَ يَحْفَظُ العِلْمَ وَلاَ يَفْهَمُ فِيهِ، فَإِلْقَاءُ العِلْمِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ إِضَاعَةٌ لِلعِلْمِ، فَكَمَا أَنَّ رَبَّ الأَرْضِ الَّتِي هَذِهِ صِفَتُهَا لاَ يَسْقِيهَا وَيَرَى

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه، منها كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، بلفظ: «تعس عبد الدينار والدرهم» إلى آخره.

أَنَّ سَقْيَهَا مِنَ الإِضَاعَةِ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يُلْقَى العِلْمُ إِلَى مَنْ يُضَيِّعُهُ، بَلْ أَوْلَى.

(الأَرَاضِي ثَلاَثٌ) أَيْ ثَلاَثَةُ أَنْوَاعٍ غَالِبًا:

ـ **(أَرْضٌ)** طَيِّبَةٌ تُرْبَتُهَا **(إِذَا سُقِيَتْ)** بِالمَاءِ الَّذِي تحْيَى بِهِ الأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا **(أَنْبَتَتِ العُشْبَ)** الرَّطْبَ **(وَالكَلأَ)** اليَابِسَ.

(ومَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ) الَّذِينَ هُمْ مُخْتَلِفُو الاسْتِعْدَادِ مَثَلُ **(الَّذِي يَتَعَلَّمُ)** العِلْمَ الَّذِي هُوَ غَيْثُ القُلُوبِ يَحْيَى بِهِ مَيِّتُهَا، **(وَيَفْهَمُ فِي العِلْمِ)** وَيُخْرِجُ بِفَهْمِهِ عُلُومًا بَدِيعَةً وَمَعَارِفَ دَقِيقَةً.

(فَكَمَا أَنَّ النَّبَاتَ لَيْسَ عَيْنَ المَاءِ) وَهَذَا بَدِيهِيٌّ يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ، **(وَلَكِنَّ المَاءَ سَبَبُ حُصُولِهِ)** إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَـمْ يُوجَدْ، **(فَكَذَلِكَ الفَهْمُ لَيْسَ عَيْنَ العِلْمِ، وَلِكِنْ عَنِ العِلْمِ يَكُونُ)** الفَهْمُ، وَالأَفْهَامُ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَعْلاَهَا الفَهْمُ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ تَعَالَى.

(وَالأَرْضُ الثَّانِيَةُ تُمْسِكُ المَاءَ) لِانْخِفَاظِهَا وَصَلاَبَتِهَا، **(وَلاَ تُنْبِتُ الكَلأَ)** لِعَدَمِ قَابِلِيَّتِهَا لِلإِنْبَاتِ.

(وَمَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ مَثَلُ الَّذِي يَحْفَظُ العِلْمَ) الَّذِي يَسْمَعُهُ أَوْ يَرَاهُ **(وَلاَ يَفْهَمُ فِيهِ. وَإِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ لاَ يَزِيدُ عَلَى مَا يَسْمَعُ)** أَوْ يَرَى **(فَهُوَ ذَاكَ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ شَيْئاً يُوَافِقُ مَا سَمِعَ مِنَ العِلْمِ)** وَإِنَّمَا قُيِّدَ بِهِ لِأَنَّ مَا لاَ يُوَافِقُهُ لَيْسَ بِفَهْمٍ مَحْمُودٍ **(فَهُوَ الأَوَّلُ)** وَهُوَ أَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الثَّانِي وَإِنْ كَانَ الثَّانِي لاَ يَخْلُو عَنْ شَرَفٍ.

(وَالأَرْضُ الثَّالِثَةُ أَرْضٌ لاَ تُنْبِتُ الكَلأَ) لِخُبْثِ تُرْبَتِهَا (وَلاَ تُمْسِكُ المَاءَ) لِارْتِفَاعِهَا.

(وَمَثَلُهَا مِنَ النَّاسِ مَثَلُ مَنْ لاَ يَحْفَظُ العِلْمَ) الَّذِي يَسْمَعُهُ لِعَدَمِ القُوَّةِ الحَافِظَةِ فِيهِ، أَوْ لِإِعْرَاضِهِ عَنْهُ، **(وَلاَ يَفْهَمُ فِيهِ)** لِغَبَاوَتِهِ أَوْ لِعَدَمِ الْتِفَاتِهِ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْهِ.

(فَإِلْقَاءُ العِلْمِ) الَّذِي كَالدُّرِّ **(إِلَى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ إِضَاعَةٌ لِلعِلْمِ.)**

وَفِي أَمْثَالِهِ وَرَدَ مَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ: «مُعَلِّمُ العِلْمِ غَيْرَ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الخَنَازِيرِ الدُّرَّ»[1].

(فَكَمَا أَنَّ رَبَّ الأَرْضِ الَّتِي هَذِهِ صِفَتُهَا لاَ يَسْقِيهَا، وَيَرَى) لِعِلْمِهِ بِحَالِهَا **(أَنَّ سَقْيَهَا مِنَ الإِضَاعَةِ)** حَيْثُ لاَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ فَائِدَةٌ، إِنَّمَا فِيهِ إِتْعَابُ النَّفْسِ بِلاَ طَائِل، **(كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يُلْقَى العِلْمُ إِلَى مَنْ يُضَيِّعُهُ، بَلْ أَوْلَى)** لِأَنَّ تَضْيِيعَ العِلْمِ ـ الَّذِي هُوَ أَنْفَسُ الأُمُورِ وَأَغْلاَهَا ـ أَشَدُّ مِنْ تَضْيِيعِ المَاءِ الَّذِي هُوَ أَرْخَصُ الأَشْيَاءِ غَالِبًا.

٢٤ ـ لاَ تَثْبُتُ الدَّعَاوِي بِالأَقْوَالِ حَتَّى تَقُومَ بِإِثْبَاتِهَا البَيِّنَةُ مِنَ الأَفْعَالِ.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب»

(لاَ تَثْبُتُ الدَّعَاوِي بِالأَقْوَالِ) أَيْ لاَ يُسَلَّمُ لِكُلِّ مُدَّعٍ دَعْوَاهُ بِمُجَرَّدِ قَوْلِهِ إِنَّ لَهُ كَذَا (حَتَّى تَقُومَ بِإِثْبَاتِهَا البَيِّنَةُ مِنَ الأَفْعَالِ) الَّتِي تُمَيِّزُ ـ لِصُعُوبَتِهَا ـ بَيْنَ الصَّادِقِينَ وَالكَاذِبِينَ، فَمَنْ شَهِدَ عَلَى قَوْلِهِ فِعْلُهُ فَهُوَ صَادِقٌ، وَمَنْ كَذَّبَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ فَهُوَ مُدَّعٍ مُفْتَرٍ.

٢٥ ــ إِذَا ادَّعَتْ نَفْسُكَ أَنَّهَا لاَ تُفَرِّقُ بَيْنَ وُجُودِ الشَّيْءِ وَعَدَمِهِ فَلاَ تَقْنَعْ مِنْهَا بِذَلِكَ حَتَّى تَخْتَبِرَهَا بِالأَمْرَيْنِ جَمِيعاً.

(إِذَا ادَّعَتْ نَفْسُكَ) الَّتِي تَدَّعِي الكَمَالَ لَهَا (أَنَّهَا لاَ تُفَرِّقُ بَيْنَ وُجُودِ الشَّيْءِ) مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا (وَعَدَمِهِ) لِكَمَالِ تَوَكُّلِهَا عَلَى رَبِّهَا، أَوْ لِغَايَةِ زُهْدِهَا، أَوْ مَعْرِفَتِهَا بِرَبِّهَا، (فَلاَ تَقْنَعْ مِنْهَا بِذَلِكَ) الدَّعْوَى (حَتَّى تَخْتَبِرَهَا بِالأَمْرَيْنِ) أَيْ وُجُودِ الشَّيْءِ وَعَدَمِهِ (جَمِيعاً) فَإِنْ كَانَ حَالُهَا عِنْدَ عَدَمِهَا كَحَالِهَا عِنْدَ وُجُودِهِ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ فَاعْلَمْ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، وَإِلَّا فَهِيَ كَاذِبَةٌ.

وَمَقَامُ عَدَمِ الفَرْقِ بَيْنَ الوُجُودِ وَالعَدَمِ مَقَامٌ صَعْبٌ لاَ يَفُوزُ بِهِ إِلَّا الكُمَّلُ مِنَ العَارِفِينَ، وَمَنْ سِوَاهُمْ مُدَّعُونَ.

٢٦ ــ لَوْلاَ العَلاَمَاتِ لَادَّعَى كُلُّ أَحَدٍ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ بِالعَلاَمَات وَالأَمَارَاتِ يُفَرَّقُ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ.

(لَوْلاَ العَلاَمَاتِ) الدَّالَّاتِ عَلَى صِدْقِ الصَّادِقِ وَكَذِبِ الكَاذِبِ (لَادَّعَى كُلُّ أَحَدٍ) مِنَ الكَمَالِ (مَا لَيْسَ عِنْدَهُ) وَالْتَبَسَ المُحِقُّ بِالمُبْطِلِ، (وَلَكِنْ بِالعَلاَمَات

وَالأَمَارَاتِ يُفَرَّقُ بَيْنَ الصَّادِقِ) فِي الدَّعْوَى **(وَالكَاذِبِ)** فِيهِ.

وَالنَّاسُ نَوْعَانِ:

ـ مِنْهُمْ مَنْ صَحَّ تَوَكُّلُهُ عَلَى مَوْلاَهُ، وَخَرَجَ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِهِ، فَهُوَ الَّذِي لاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ وُجُودِهَا وَعَدَمِهَا.

ـ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَصِحَّ تَوَكُّلُهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُخْرِجْ حُبَّهَا مِنْ قَلْبِهِ، فَهُوَ يَفْرَحُ عِنْدَ إِقْبَالِهَا إِلَيْهِ، وَيَغْتَمُّ عِنْدَ إِدْبَارِهَا عَنْهُ عَلَى قَدْرِ عَدَمِ صِحَّةِ تَوَكُّلِهِ وَحُبِّهِ إِيَّاهَا.

٢٧ ــ مَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الدُّنْيَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنْ وَرَثَةِ النَّبِيِّينَ. وَمَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَالدُّنْيَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ. وَمَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الدُّنْيَاوِيَّةُ وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ الأُخْرَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنَ المُسْتَدْرَجِينَ. وَمَنْ تَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَالدُّنْيَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنَ المَمْقُوتِينَ.

(مَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ) بِأَنْ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ امْتِثَالَ أَوَامِرِهِ وَتَرْكَ زَوَاجِرِهِ، وَالسَّعْيَ فِي مَرْضَاتِهِ، وَالاجْتِنَابَ عَنْ مَوَاضِعِ سَخَطَاتِهِ، **(وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الدُّنْيَاوِيَّةُ)** بِأَنْ لَمْ يُحَصِّلْ مِنْهَا إِلَّا قَلِيلاً، مَعَ رِضَاهُ عَلَى قَضَاءِ رَبِّهِ، **(فَهُوَ مِنْ وَرَثَةِ النَّبِيِّينَ)** الَّذِينَ زَوَى اللَّـهُ عَنْهُمْ الدُّنْيَا وَمَطَالِبَهَا؛ لِخِسَّتِهَا عِنْدَهُ وَكَرَامَتِهِمْ لَدَيْهِ، وَسَهَّلَ لَهُمْ مَطَالِبَ الآخِرَةِ؛ لِعِزَّتِهَا عِنْدَهُ وَشَرَفِهِمْ لَدَيْهِ.

(وَمَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَالدُّنْيَاوِيَّةُ) وَلَمْ يَعْصِ اللَّهَ فِي مَطَالِبِ

الدُّنْيَا (**فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ**) الَّذِينَ جَمَعَ اللَّهُ لَهُمْ بَيْنَ مَطَالِبِ الدُّنْيَا وَالأُخْرَى، وَلَكِنَّهُمْ عَلَى قَدْرِ تَحْصِيلِهِمْ مَطَالِبَ الدُّنْيَا تَنْقُصُ دَرَجَتُهُمْ عَنْ دَرَجَةِ وَرَثَةِ النَّبِيِّينَ؛ إِذْ مَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا نَقُصَ عَلَى قَدْرِهِ مِنَ الآخِرَةِ.

(**وَمَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الدُّنْيَاوِيَّةُ وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ الأُخْرَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنَ المُسْتَدْرَجِينَ**) الَّذِينَ يُقَرِّبُهُمُ اللَّهُ إِلَى نِقَمِهِ بِنِعَمِهِ، وَيَأْخُذَهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرُونَ.

فَلاَ يَغْتَرَّنَّ عَاقِلٌ بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ يُعْطِيهَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَلاَ يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ.

(**وَمَنْ تَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَالدُّنْيَاوِيَّةُ فَهُوَ مِنَ المَمْقُوتِينَ**) المَبْغُوضِينَ الَّذِينَ جَمَعَ اللهُ لَهُمْ عَذَابَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، لاَ بِنِعَمِ هَذِهِ يَتَلَذَّذُونَ، وَلَا بِلَذَّةِ هَذِهِ يَتَنَعَّمُونَ، بَلْ فِيهِمَا أَشَدَّ العَذَابِ يَذُوقُونَ.

٢٨ ــ شَرُّ الفُقَرَاءِ: مَنْ يَوَدُّ أَنَّهُ مِنَ الأَغْنِيَاءِ، وَخَيْرُ الأَغْنِيَاءِ: مَنْ لاَ يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الفُقَرَاءِ.

(**شَرُّ الفُقَرَاءِ: مَنْ يَوَدُّ أَنَّهُ مِنَ الأَغْنِيَاءِ**) الَّذِينَ ابْتَلاَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَوْسَاخِ الدُّنْيَا، قَلَّمَا يَسْلَمُونَ مِنْ أَقْذَارِهَا وَأَكْدَارِهَا. وَمَثَلُهُ مَثَلُ الطَّاهِرِ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ مُتَنَجِّسًا.

وَلاَ يَبْعُدُ أَنْ يُحْشَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَهُمْ وَيَذُوقَ وَبَالَهُمْ؛ لِأَنَّ «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا

حُشِرَ مَعَهُمْ»[1]. وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ الفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَرْضَوْا بِفَقْرِهِمْ.

(وَخَيْرُ الأَغْنِيَاءِ مَنْ لاَ يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الفُقَرَاءِ) الَّذِينَ طَهَّرَهُمْ مَوْلاَهُمْ مِنْ وَسَخِ الدُّنْيَا وَفَرَّغَهُمْ لِعِبَادَتِهِ. وَيُرْجَى لَهُ أَنْ يُحْشَرَ مَعَهُمْ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا فَهُوَ مَعَهُمْ.

لَوْ عَلِمَ الفُقَرَاءُ فَضْلَ فَقْرِهِمْ لَازْدَادُوا حُبًّا وَشُكْراً لِخَالِقِهِمْ وَسُرُوراً إِلَى سُرُورٍ، وَلَوْ عَلِمَ الأَغْنِيَاءُ وَبَالَ غِنَاهُمْ لَفَرُّوا مِنْهُ فِرَارَ الحُمُرِ مِنَ القَسْوَرَةِ. لَكِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الحَقَائِقِ غَافِلُونَ.

٢٩ ــ مَنْ أَمْسَكَ عَنْ تَنَاوُلِ فُضُولِ الشَّهَوَاتِ وَلَمْ يُنْفِقْ مَا فِي يَدَيْهِ مِنْ فُضُولِ الأَمْوَالِ فَهُوَ مَحْرُومٌ. وَالَّذِي يَتَمَتَّعُ بِمَا فِي يَدِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَيُنْفِقُهُ فِي شَهَوَاتِهِ المُبَاحَةِ أَحْسَنُ حَالاً مِنْهُ.

(مَنْ أَمْسَكَ عَنْ تَنَاوُلِ فُضُولِ الشَّهَوَاتِ)؛ لِشِدَّةِ شُحِّهِ عَلَى مَا فِي يَدِهِ، **(وَلَمْ يُنْفِقْ مَا فِي يَدَيْهِ مِنْ فُضُولِ الأَمْوَالِ)** فِي سَبِيلِ رِضَى ذِي الجَلاَلِ وَالجَمَالِ **(فَهُوَ مَحْرُومٌ)** مِنْ لَذَائِذِ الدُّنْيَا الَّتِي يَقْصِدُهَا أَهْلُ النُّفُوسِ وَالبُطُونِ، وَفَضَائِلِ الآخِرَةِ الَّتِي قَصَدَهَا أَهْلُ القُرْبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَيَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، وَهُوَ عَابِدُ الدُّنْيَا وَعَاشِقُهَا الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِجَمْعِهَا.

(وَالَّذِي يَتَمَتَّعُ بِمَا فِي يَدِهِ مِنَ الدُّنْيَا) فِي مَآكِلِهِ وَمَشَارِبِهِ وَمَلاَبِسِهِ

(١) من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الهجرة: ٤٢٣٦

وَمَسَاكِنِهِ وَمَنَاكِحِهِ وَغَيْرِهَا (**وَيُنْفِقُهُ فِي شَهَوَاتِهِ المُبَاحَةِ أَحْسَنُ حَالاً مِنْهُ**) حَيْثُ تَـمَتَّعَ بِدُنْيَاهُ وَإِنْ كَانَ لاَ يَخْلُو مِنْ كَوْنِهِ عَبْدَ الشَّهْوَةِ.

وَأَمَّا مَنْ يُنْفِقُهُ فِي الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ فَهُوَ أَقْبَحُ الكُلِّ؛ حَيْثُ تَوَصَّلَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ الَّتِي تُوجِبُ نِقْمَتَهُ.

٣٠ ــ لاَ يَكْمُلُ حَالُ الدَّاعِي إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يَصِيرَ قَوْلُهُ وَفِعْلُهُ حُجَّةً عَلَى جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ.

(**لاَ يَكْمُلُ حَالُ الدَّاعِي إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ**) الَّذِي هُوَ وَارِثُ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللَّـهُ تَعَالَى إِلَى النَّاسِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ (**حَتَّى يَصِيرَ قَوْلُهُ وَفِعْلُهُ حُجَّةً عَلَى جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ**) بِأَنْ يَكُونَ مُتَبَحِّراً فِي عُلُومِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، كَامِلَ الاتِّبَاعِ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، يُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ، وَفِعْلَهُ قَوْلُهُ، وَهَذَا الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ عِبَادُ اللهِ تَعَالَى، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، وَهُوَ خَلِيفَةُ المُرْسَلِينَ.

٣١ ــ إِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ يُفِيدُ بِقَوْلِهِ دُونَ فِعْلِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ نَاقِصٌ. وَإِذَا رَأَيْتَ المُتَعَلِّمَ تُفِيدُهُ الأَقْوَالُ وَلاَ تُؤَدِّبُهُ الأَفْعَالُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ عَنِ التَّحْصِيلِ نَاكِصٌ. وَإِذَا رَأَيْتَ الطَّالِبَ يَنْتَفِعُ بِأَقْوَالِ شَيْخِهِ وَلاَ يَنْتَفِعُ بِأَفْعَالِهِ فَانْظُرْ فَإِنْ لَمْ تَرَ فِي أَفْعَالِ الشَّيْخِ مَا تَحْصُلُ بِهِ الفَائِدَةُ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ

أَفْعَالَهُ تُفِيدُ وَلَكِنْ لاَ يُحْسِنُ الطَّالِبُ أَنْ يَسْتَفِيدَ فَلاَ يُعْتَدُّ بِهِ.

(إِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ يُفِيدُ بِقَوْلِهِ) بِأَنْ يَتَكَلَّمَ بِمَا يُوَافِقُ الشَّرْعَ، **(دُونَ فِعْلِهِ)** بِأَنْ يَفْعَلَ خِلاَفَ مَا يَقُولُ، أَوْ لاَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُهُ، **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ نَاقِصٌ)** عَنِ الكَمَالِ، وَهُوَ الَّذِي يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، وَيُوَبَّخُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وَهَذَا حَالُ غَالِبِ حَمَلَةِ العُلُومِ.

(وَإِذَا رَأَيْتَ المُتَعَلِّمَ تُفِيدُهُ الأَقْوَالُ وَلاَ تُؤَدِّبُهُ الأَفْعَالُ) الصَّادِرَةُ عَنِ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ عَنِ التَّحْصِيلِ نَاكِصٌ)** رَاجِعٌ، لاَ يُحَصِّلُ شَيْئًا يُعْبَأُ بِهِ، وَالمُتَعَلِّمُ الكَامِلُ: مَنْ تُفِيدُهُ الأَقْوَالُ وَتُؤَدِّبُه الأَفْعَالُ.

(وَإِذَا رَأَيْتَ الطَّالِبَ) لِلسُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ **(يَنْتَفِعُ بِأَقْوَالِ شَيْخِهِ، وَلاَ يَنْتَفِعُ بِأَفْعَالِهِ)** بِأَنْ لاَ يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا **(فَانْظُرْ)** فِيمَا يَفْعَلُهُ الشَّيْخُ، **(فَإِنْ لَمْ تَرَ فِي أَفْعَالِ الشَّيْخِ مَا تَحْصُلُ بِهِ الفَائِدَةُ)** بِأَنْ تَكُونَ عَلَى غَيْرِ نِظَامِ الشَّرْعِ **(فَلَيْسَ)** ذَلِكَ الشَّيْخُ **(بِشَيْءٍ)** يُعْبَأُ بِهِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ، بَلْ ضَرَرُهُ ـ لِعَدَمِ الفَائِدَةِ فِي أَفْعَالِهِ ـ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِ أَقْوَالِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ المُتَعَلِّمَ مُوَفَّقٌ حَيْثُ لَمْ يَقْتَدِ بِشَيْخِهِ فِيمَا لاَ يُقَرِّبُهُ إِلَى رَبِّهِ.

(وَإِذَا رَأَيْتَ أَفْعَالَهُ تُفِيدُ) لِكَوْنِهَا مُطَابِقَةً لِلشَّرْعِ، يُرَاعِي فِيهَا كَمَالَ التَّقْوَى وَالإِخْلاَصِ، **(وَلَكِنْ لاَ يُحْسِنُ الطَّالِبُ أَنْ يَسْتَفِيدَ)** مِنْهَا شَيْئاً لِعَدَمِ قَابِلِيَّتِهِ لِلاسْتِفَادَةِ **(فَلاَ يُعْتَدُّ بِهِ)** وَلاَ يَتَأَتَّى مِنْهُ شَيْءٌ، إِذِ الطَّالِبُ الحَاذِقُ يَسْتَفِيدُ مِنْ

أَفْعَالِ مُرْشِدِهِ المُتَشَرِّعِ مِثْلَ مَا يَسْتَفِيدُ مِنْ أَقْوَالِهِ، بَلْ أَزْيَدَ.

٣٢ ــ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوصَفَ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ، وَكَرِهَ أَنْ يُذْكَرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَاءٍ.

(**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوصَفَ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ**) مَعَ أَنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُ ظَهْرَهُ، (**وَكَرِهَ أَنْ يُذْكَرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ**) مَعَ أَنَّ ذَلِكَ يُعِينُهُ عَلَى تَطْهِيرِ نَفْسِهِ عَنْ أَقْذَارِهِ، (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَاءٍ**) لِأَنَّ المُخْلِصَ: مَنْ لاَ يُحِبُّ أَنْ يُوصَفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ مِنَ الخَيْرِ، بَلْ وَلاَ يُحِبُّ أَنْ يُوصَفَ بِمَا فِيهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُغْرِي نَفْسَهُ الأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ عَلَيْهِ فَتُهْلِكَهُ بِتَكَبُّرِهَا وَأَنَانِيَّتِهَا، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ لِأَنَّ ذَلِكَ يُعِينُهُ عَلَى كَسْرِ شَوْكَةِ نَفْسِهِ وَيَحُثُّهُ عَلَى تَطْهِيرِهِ مِنْ أَكْدَارِ شَرِّهِ، بَلْ يَفْرَحُ بِذَلِكَ.

٣٣ ـ كَثِيراً مَا يَلْتَبِسُ الحَيَاءُ المَحْمُودُ بِالجُبْنِ المَذْمُومِ وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ كُلَّ حَيَاءٍ حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ خَيْرٍ أَوْ وَقَعْتَ بِسَبَبِهِ فِي شَرٍّ فَهُوَ الجُبْنُ المَذْمُومُ وَلَيْسَ بِالحَيَاءِ لِأَنَّ الحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ كَمَا فِي الحَدِيثِ.

(**كَثِيراً مَا يَلْتَبِسُ الحَيَاءُ المَحْمُودُ**) شَرْعاً (**بِالجُبْنِ المَذْمُومِ**) عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ بِالفَرْقِ بَيْنَهُمَا، (**وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ كُلَّ حَيَاءٍ حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ خَيْرٍ**) كَتَعَلُّمِ عِلْمٍ (**أَوْ وَقَعْتَ بِسَبَبِهِ فِي شَرٍّ**) كَتَرْكِ أَمْرٍ بِالمَعْرُوفِ أَوْ نَهْيٍ عَنِ المُنْكَرِ

(فَهُوَ الجُبْنُ المَذْمُومُ وَلَيْسَ بِالحَيَاءِ) المَحْمُودِ؛ (لِأَنَّ الحَيَاءَ) المَحْمُودَ (لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ كَمَا فِي الحَدِيثِ) وَذَلِكَ أَنَّ الحَيَاءَ المَحْمُودَ هُوَ الحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالحَيَاءُ فِي المَحَلِّ الَّذِي يَرْضَاهُ، فَمَنْ يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَلَهُ لَا يَتْرُكُ خَيْراً وَلَا يَقَعُ فِي ضَيْرٍ بِسَبَبِ الحَيَاءِ، بَلْ حَيَاؤُهُ مِنْ رَبِّهِ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَرَاهُ مَوْلَاهُ تَارِكاً لِمَا يَجِبُ أَوْ مُرْتَكِباً لِمَا يَكْرَهُ.

٣٤ ــ مَنْ أَهْمَلَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَخَافُ اسْتَعْمَلَ الكَذِبَ حَيْثُ يَرْجُو.

(مَنْ أَهْمَلَ الصِّدْقَ) فِي أَقْوَالِهِ (حَيْثُ يَخَافُ) الضَّرَرَ مِنَ الصِّدْقِ، (اسْتَعْمَلَ الكَذِبَ حَيْثُ يَرْجُو) النَّفْعَ، وَهَذَا مَذْمُومٌ شَرْعاً، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فَيَنْبَغِي تَحَرِّي الصِّدْق حَيْثُ يُخَافُ وَيُرْجَى، وَاجْتِنَابُ الكَذِبِ أَبَداً، إِلَّا لِضَرُورَةٍ مُلْجِئَةٍ كَجَلْبِ نَفْعٍ جَلِيلٍ أَوْ دَفْعِ شَرٍّ.

٣٥ ــ مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ رَأَى غُرُوراً وَزُوراً وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْ قَلْبِهِ رَأَى هَبَاءً مَنْثُورَا.

(مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا) الَّتِي ظَاهِرُهَا زِينَةٌ وَبَاطِنُهَا جِيفَةٌ مَنْتِنَةٌ (بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ) اللَّتَيْنِ لَا تُدْرِكَانِ إِلَّا المَحْسُوسَ (رَأَى غُرُوراً وَزُوراً) يَجْذِبُ النَّاظِرِينَ إِلَيْهَا وَيَسْلِبُ عُقُولَهُمْ لِحُبِّهَا وَيَجْعَلُهُمْ مِنْ عُشَّاقِهَا.

(**وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْ قَلْبِهِ**) اللَّتَيْنِ تُدْرِكَانِ حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ (**رَأَى هَبَاءً مَنْثُوراً**) لَا طَائِلَ تَحْتَهَا فَيَفِرُّ مِنْهَا أَشَدَّ الفِرَارِ لِئَلَّا يَقَعَ فِي شَبَكَتِهَا وَيَتَلَطَّخَ بِأَقْذَارِهَا وَيَتَدَنَّسَ بِأَدْنَاسِهَا وَيَتَكَدَّرَ بِأَرْجَاسِهَا.

لَوْ كُشِفَ لِعُشَّاقِهَا الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِظَاهِرِهَا عَنْ حَقِيقَةِ حَالِهَا لَاسْتَحْيَوْا مِنْ أَنْ يَقْرَبُوهَا، فَضْلًا مِنْ أَنْ يَطْلُبُوهَا، فَضْلًا مِنْ أَنْ يَعْشَقُوهَا، أَلَا تَرَى قَوْلَ أَعْرَفِ العَالَمِينَ بِاللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سِخْلَةٍ مَيِّتَةٍ»[1].

٣٦ ـ فِي الحِرْصِ عَلَى المَالِ هَلَاكُ الدِّينِ، وَفِي الحِرْصِ عَلَى الجَاهِ هَلَاكُ الدِّينِ وَالمَالِ جَمِيعاً.

(**فِي الحِرْصِ عَلَى المَالِ**) بِحَيْثُ لَا يُبَالِي الحَرِيصُ فِي جَمْعِهِ، جَمَعَهُ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، أَوْ جَمَعَهُ بِطَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَلَا يَتَّقِي اللَّهَ فِي جَلْبِهِ وَلَا صَرْفِهِ فِي مَصَارِفِهِ، (**هَلَاكُ الدِّينِ**) إِذْ لَابُدَّ لِلْحَرِيصِ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا يَذْهَبُ مِنْ دِينِهِ أَنْفَعُ مِمَّا يَحْصُلُ مِنْ مَالِهِ، وَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ يُوجِبُ هَلَاكَ دِينٍ، لَكِنْ عَبْدُهُ لَا يُبَالِي بِذَهَابِ دِينِهِ إِذَا حَصَّلَ مَالَهُ وَسَلِمَ لَهُ.

(**وَفِي الحِرْصِ عَلَى الجَاهِ هَلَاكُ الدِّينِ وَالمَالِ جَمِيعاً**)؛ إِذْ لَا يَتِمُّ إِلَّا

(١) أصله الحديث الصحيح الذي أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، عن المستورد بن شداد، قال: إني لفي الركب مع رسول الله ﷺ إذ أتى على سخلة منبوذة، قال: فقال: «**أترون هذه هانت على أهلها**» قال: قيل: يا رسول الله من هوانها ألقوها، أو كما قال: قال: «**فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها**».

بِهِمَا، وَالخَاسِرُ مَنْ خَسِرَ بِذَهَابِ دِينِهِ. وَالجَاهُ بَلِيَّةٌ عَمَّتْ، قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا.

٣٧ ــ لَيْسَ وَاضِعُ المَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ بِأَقَلَّ إِثْماً مِنْ مُمْسِكِهِ مِنْ حَقِّهِ.

(**لَيْسَ وَاضِعُ المَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ**) كَأَنْ يَصْرِفَهُ فِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الخَمْرِ وَالزِّنَا وَاللِّوَاطَةِ (**بِأَقَلَّ إِثْماً مِنْ مُمْسِكِهِ مِنْ حَقِّهِ**) كَأَنْ لَا يُخْرِجَ الزَّكَاةَ مِنْهُ وَلَا يُنْفِقَ مِنْهُ عَلَى مَا تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ، بَلْ رُبَّمَا يَكُونُ أَزْيَدَ إِثْماً وَأَشَدَّ عُقُوبَةً.

٣٨ ــ مَنْ أَمْسَكَ شَيْئاً يَرَى أَنَّ إِنْفَاقَهُ خَيْرٌ مِنْ إِمْسَاكِهِ فَهُوَ مِنَ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا.

(**مَنْ أَمْسَكَ شَيْئاً يَرَى أَنَّ إِنْفَاقَهُ خَيْرٌ مِنْ إِمْسَاكِهِ، فَهُوَ مِنَ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا**) الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ ـ ١٧]، وَهَذَا هُوَ الأَحْمَقُ الَّذِي لَا يُبَادِلُ دُرَّةً بِذَرَّةٍ، وَلَا يُحَصِّلُ بَاقِيَةً بِفَانِيَةٍ.

٣٩ ــ مُشَاهَدَةُ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا تَمْحُو حُبَّ الآخِرَةِ مِنَ القَلْبِ، فَكَيْفَ بِالمُجَالَسَةِ وَالمُخَالَطَةِ؟!

(**مُشَاهَدَةُ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا**) عَلَى الآخِرَةِ (**تَمْحُو حُبَّ الآخِرَةِ مِنَ القَلْبِ**،

فَكَيْفَ بِالمُجَالَسَةِ) مَعَهُمْ (وَالمُخَالَطَةِ؟!) أَيْ: هُمَا أَشَدُّ ضَرَراً.

وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ مَنْ آثَرَ الدُّنْيَا عَلَى آخِرَتِهِ يَتَكَدَّرُ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ بِأَكْدَارِهَا، وَتَحْصُلُ فِيهِ ظُلُمَاتُهَا، وَتَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَى ظَاهِرِهِ، فَمَنْ شَاهَدَهُ أَطْفَأَتْ ظُلْمَةُ دُنْيَاهُ نُورَ حُبِّ الآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ، وَجَذَبَتْهُ إِلَى حُبِّهَا وَالرَّغْبَةِ فِيهَا، وَهَذَا أَمْرٌ مُجَرَّبٌ، وَالصُّحْبَةُ مُؤَثِّرَةٌ، وَلِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ**﴾ [طه: ١٣١].

٤٠ ـ كَفَى بِفِقْدَانِ الرَّغْبَةِ فِي الخَيْرِ مُصِيبَةً، وَكَفَى بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا عُقُوبَةً، وَكَفَى بِالظُّلْمِ حَتْفاً لِصَاحِبِهِ، وَكَفَى بِالذَّنْبِ عَاراً لِلْمُلِمِّ بِهِ.

(كَفَى بِفِقْدَانِ الرَّغْبَةِ فِي الخَيْرِ) الَّذِي هُوَ عَلَمُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ وَفَوْزِ الكَوْنَيْنِ **(مُصِيبَةً)**، وَأَيُّ مُصِيبَةٍ فَوْقَهُ؟! لَكِنْ لَا يَعُدُّهَا مُصِيبَةً إِلَّا مَنْ عَرَفَ فَائِدَةَ الخَيْرِ، وَأَنَّى لِلْغَبِيِّ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الدُّرِّ؟!.

(وَكَفَى بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا عُقُوبَةً) وَذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا أَحْقَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الجِيفَةِ المَنْتِنَةِ عِنْدَ النَّاسِ، وَأَنَّ طُلَّابَهَا كَالكِلَابِ، فَمَنْ طَلَبَهَا انْغَمَسَ فِي الذُّلِّ وَالهَوَانِ، وَأَيُّ عُقُوبَةٍ فَوْقَ أَنْ يَكُونَ طَالِبُهَا كَالكَلْبِ فِي الذُّلِّ وَالهَوَانِ؟!.

(وَكَفَى بِالظُّلْمِ) عَلَى خَلْقِ اللَّهِ **(حَتْفاً)** هَلَاكاً **(لِصَاحِبِهِ)** لِأَنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(وَكَفَى بِالذَّنْبِ عَاراً لِلْمُلِمِّ بِهِ) أَيْ: لِفَاعِلِهِ، وَأَيُّ عَارٍ فَوْقَ عِصْيَانِ ذِي

الإِنْعَامِ وَالانْتِقَامِ، وَلَوْ كَانَ لِلْمُذْنِبِ حَيَاءٌ لَمَاتَ خَجَلًا مِنْ عَارِهِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِعِصْيَانِ رَبِّهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَعْصِيَةِ عُقُوبَةٌ إِلَّا عِقَابَ القَهَّارِ لَكَفَتْ.

٤١ ـ مَنْ تَرَكَ الجَزْمَ لِلْوَهْمِ فَهُوَ أَحْمَقُ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى الشَّكِّ مَعَ إِمْكَانِ المَصِيرِ إِلَى اليَقِينِ فَهُوَ أَخْرَقُ.

(**مَنْ تَرَكَ الجَزْمَ**) وَهُوَ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الثَّوَابِ عَلَى طَاعَتِهِ وَالعِقَابِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَتَرْكِهِ بِمُخَالَفَةِ الشَّرْعِ (**لِلْوَهْمِ**) وَهُوَ المَالُ وَنَحْوُهُ (**فَهُوَ أَحْمَقُ**) حَيْثُ يَتْرُكُ طَلَبَ مَا هُوَ فِي حُصُولِهِ جَازِمٌ، وَيَطْلُبُ مَا هُوَ فِي حُصُولِهِ وَاهِمٌ.

(**وَمَنْ أَقَامَ عَلَى الشَّكِّ مَعَ إِمْكَانِ المَصِيرِ إِلَى اليَقِينِ فَهُوَ أَخْرَقُ**) لَا يَهْتَدِي إِلَى شَيْءٍ، وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي حِلِّ شَيْءٍ وَحِرْمَتِهِ مَثَلًا، وَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ كُتُبِ الفِقْهِ لَوْ رَاجَعَهَا لَوَجَدَ حُكْمَهُ، أَوْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ العُلَمَاءِ مَنْ لَوْ سَأَلَهُ لَشَفَاهُ، أَوْ يَحْصُلُ لَهُ شَكٌّ فِي شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلَ فِيهِ حَقَّ التَأَمُّلِ وَاجْتَهَدَ لَزَالَ شَكُّهُ، وَلِهَذَا أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ.

٤٢ ــ يَنْبَغِي أَنْ يَدُورَ كَلَامُ العَالِمِ بِاللهِ مَعَ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: الأَوَّلُ: التَّذْكِيرُ بِالنِّعَمِ وَالثَّانِي: الْتِزَامُ الطَّاعَةِ وَالثَّالِثُ: اجْتِنَابُ المَعْصِيَةِ فَكُلُّ عَالِمٍ أَخَذَ يَتَكَلَّمُ مَعَ العَامَّةِ بِغَيْرِ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ فَتَّانٌ.

(**يَنْبَغِي أَنْ يَدُورَ كَلَامُ العَالِمِ بِاللَّهِ**) وَبِأَحْكَامِ شَرْعِهِ (**مَعَ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ**) الَّذِينَ لَمْ يَعْلَمُوا مَا عَلِمَهُ العُلَمَاءُ بِاللَّهِ (**عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ**:

ـ **الأَوَّلُ: التَّذْكِيرُ بِالنِّعَمِ**) الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا الكَرِيمُ بِجُودِهِ، وَهِيَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، لِيَرْجُوا جُودَهُ وَيَزْدَادُوا حُبّاً لَهُ وَشُكْراً لِنِعَمِهِ.

ـ (**وَالثَّانِي: الْتِزَامُ الطَّاعَةِ**) لِيَسْعَدُوا بِفَوْزِهَا.

ـ (**وَالثَّالِثُ: اجْتِنَابُ المَعْصِيَةِ**) لِيَقُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ وَبَالِهَا.

تَذَكُّرُ النِّعَمِ يُعِينُ عَلَى الْتِزَامِ الطَّاعَةِ، وَالْتِزَامُهَا يُعِينُ عَلَى اجْتِنَابِ المَعْصِيَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(**فَكُلُّ عَالِمٍ أَخَذَ**) شَرَعَ (**يَتَكَلَّمُ مَعَ العَامَّةِ**) الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ دَقَائِقَ الأُمُورِ (**بِغَيْرِ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ فَتَّانٌ**) يَفْتِنُ عِبَادَ اللَّهِ تعالى. وَكَمْ أَتْلَفَ مِثْلُ هَذَا مِنَ العَوَامِّ فَوَقَعُوا فِي البِدْعِيَّاتِ وَالكُفْرِيَّاتِ وَالمُنْكَرَاتِ لِعَدَمِ فَهْمِهِمْ، وَلِذَا قِيلَ: كَلِّمِ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ.

٤٣ ــ رَحْمَةٌ تَطْلُبُكَ، وَرَحْمَةٌ تَطْلُبُهَا. فَالَّتِي تَطْلُبُكَ رَحْمَةُ الهِدَايَةِ بِالبَيَانِ. وَلِأَجْلِهَا كَانَ إِرْسَالُ الرُّسُلِ وَإِنْزَالُ الكُتُبِ. وَالَّتِي تَطْلُبُهَا هِيَ الجَنَّةُ، تَسْعَى لَهَا بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، عَلَى قَانُونِ العِلْمِ النَّافِعِ.

(**رَحْمَةٌ تَطْلُبُكَ، وَرَحْمَةٌ**) أُخْرَى (**تَطْلُبُهَا؛ فَالَّتِي تَطْلُبُكَ رَحْمَةُ الهِدَايَةِ بِالبَيَانِ**) فَالهِدَايَةُ الَّتِي هِيَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ وَالَّتِي بَيَّنَهَا لِعِبَادِهِ تَطْلُبُكَ أَنْ

تَهْتَدِيَ بِهَا وَتَقْبَلَ مَا تَدْعُوكَ إِلَيْهِ مِنْ فِعْلِ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ وَتَرْكِ مَا يُبْعِدُكَ عَنْهُ، **(وَلِأَجْلِهَا كَانَ إِرْسَالُ الرُّسُلِ وَإِنْزَالُ الكُتُبِ)** دَعَا اللهُ تَعَالَى بِهِمْ إِلَيْهِ وَبَيَّنَ بِهِمْ هِدَايَتَهُ.

(وَالَّتِي تَطْلُبُهَا هِيَ الجَنَّةُ، تَسْعَى لَهَا بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، عَلَى قَانُونِ العِلْمِ النَّافِعِ) وَلَابُدَّ مِنَ السَّعْيِ لَهَا بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَنْ تَمَنَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْمَلَ لَهَا مَغْرُورٌ بَطَّالٌ؛ مَنْ لَمْ يَزْرَعْ لَا يَحْصُدُ، وَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ العَمَلُ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ؛ إِذْ مَا خَالَفَهُ مَرْدُودٌ عَلَى وَجْهِ صَاحِبِهِ.

٤٤ ــ دَوَاعِي الحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا: النَّظَرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الاسْتِحْسَانِ. وَعَنْهُ يَكُونُ حُبُّ البَقَاءِ للتمتُّع. وَالثَّانِي: تَعْظِيمُ النَّاسِ لِأَرْبَابِهَا. وَمِنْهُ يَكُونُ التَّفَاخُرُ وَالتَّكَاثُرُ. وَالثَّالِثُ: تَوَهُّم أَنْ لَا قِوَامَ بِدُونِهَا. وَعَنْهُ يَنْشَأُ البُخْلُ وَخَوْفُ الفَقْرِ.

(دَوَاعِي الحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ:

ـ أَحَدُهَا: النَّظَرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الاسْتِحْسَانِ) بِأَنْ يَرَاهَا مُسْتَحْسَنَةً مَرْغُوباً فِيهَا، **(وَعَنْهُ يَكُونُ حُبُّ البَقَاءِ للتَّمتُّع.**

ـ وَالثَّانِي: تَعْظِيمُ النَّاسِ) الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا **(لِأَرْبَابِهَا)** لِزَعْمِهِمْ أَنَّ مَنْ حَصَّلَهَا كَانَ شَيْئاً عَظِيماً، **(وَمِنْهُ يَكُونُ التَّفَاخُرُ وَالتَّكَاثُرُ)** بِالأَمْوَالِ وَالعَبِيدِ وَالأَتْبَاعِ وَالقُصُورِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

ـ (وَالثَّالِثُ: **تَوَهُّم أَنْ لَا قِوَامَ بِدُونِهَا**) لِمَا يَرَوْنَ أَنَّ الأَقْوَاتَ وَمَا يُشَاكِلُهَا مَرْبُوطَةً بِهَا، (**وَعَنْهُ يَنْشَأُ البُخْلُ**) بِهَا (**وَخَوْفُ الفَقْرِ**) الحَاثِّ عَلَى الجَمْعِ وَالمَنْعِ.

٤٥ ـ أَجْهَلُ الجَاهِلِينَ: مَنْ تَزِيدُهُ المَعْرِفَةُ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ جُرْأَةً عَلَى مَعَاصِيهِ.

(**أَجْهَلُ الجَاهِلِينَ**) بِاللَّهِ تَعَالَى (**مَنْ تَزِيدُهُ المَعْرِفَةُ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ جُرْأَةً عَلَى مَعَاصِيهِ**) أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَنْ يَعْصِيهِ كَمَا هُوَ غَفَّارُ كَذَلِكَ هُوَ قَهَّارٌ، وَكَمَا هُوَ رَحِيمٌ كَذَلِكَ مُنْتَقِمٌ؟! وَقَدْ وَعَدَ عَلَى عِصْيَانِهِ عِقَابَهُ، وَعَلَى طَاعَتِهِ إِحْسَانَهُ؛ ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْلَمَ العَالِمِينَ مَنْ تَزِيدُهُ شِدَّةَ خَوْفٍ مِنْهُ وَعِظَمَ احْتِرَازٍ عَنْ عِصْيَانِهِ.

٤٦ ـ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ قَبْلَ الوُقُوعِ فِيهِ دَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى فِعْلِهِ.

(**مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ**) الَّتِي تَنْزِعُ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَخْدَعُ صَاحِبَهَا بِالتَّوْبَةِ عَنْهَا (**بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ قَبْلَ الوُقُوعِ فِيهِ دَعَاهُ ذَلِكَ**) التَّحْدِيثُ (**إِلَى فِعْلِهِ**) لِزَعْمِهِ أَنَّهُ سَيَتَطَهَّرُ مِنْ رِجْسِهِ بِالتَّوْبَةِ بَعْدَهُ.

٤٧ ــ مَثَلُ الَّذِي يُذْنِبُ لِيَتُوبَ مَثَلُ الَّذِي يُدَنِّسُ بَدَنَهُ وَثِيَابَهُ لِيَغْتَسِلَ! وَمَا هَكَذَا يَنْبَغِي. إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ مِنَ الدَّنَسِ مَا اسْتَطَاعَ، ثُمَّ إِنْ وَقَعَ بِحُكْمِ الغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ كَانَ الوَاجِبُ عَلَيْهِ التَّنَظُّفَ فِي الحَالِ.

(**مَثَلُ الَّذِي يُذْنِبُ لِيَتُوبَ مَثَلُ الَّذِي يُدَنِّسُ بَدَنَهُ وَثِيَابَهُ**) بِالأَدْنَاسِ (**لِيَغْتَسِلَ**)، كَمَا أَنَّ الأَقْذَارَ الحِسِّيَّةَ تُنَجِّسُ الأَبْدَانَ وَالأَثْوَابَ وَتُطَهَّرُ بِنَحْوِ المَاءِ، كَذَلِكَ الأَوْزَارُ تُنَجِّسُ البَوَاطِنَ وَالقُلُوبَ وَتُطَهَّرُ بِالتَّوْبَةِ.

(**وَمَا هَكَذَا يَنْبَغِي**) وَلَيْسَ ذَا مِنْ فِعْلِ العُقَلَاءِ، بَلْ مَنْ فِعْلِ المَجَانِينِ، (**إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ مِنَ الدَّنَسِ مَا اسْتَطَاعَ**) مِنَ الاحْتِرَازِ (**ثُمَّ إِنْ وَقَعَ**) فِيهِ (**بِحُكْمِ الغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ**) وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ المُؤْمِنِ الوُقُوعُ فِي الأَدْنَاسِ قَصْداً (**كَانَ الوَاجِبُ عَلَيْهِ التَّنَظُّفَ**) مِنَ الدَّنَسِ (**فِي الحَالِ**) بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ: وَهُوَ النَّدَمُ عَلَى فِعْلِهِ، وَالانْقِلَاعُ عَنْهُ، وَالعَزْمُ عَلَى عَدَمِ العَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَقَضَاءُ مَا وَجَبَ قَضَاؤُهُ وَأَمْكَنَ. وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ عَنِ الذَّنْبِ ذَنْبٌ آخَرَ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ قَلَّمَا يُؤَاخَذُ بِوَبَالِ الذَّنْبِ.

٤٨ ــ مَثَلُ الأُخُوَّةِ فِي اللهِ مَثَلُ الشَّجَرَةِ تُسْقَى بِمَاءِ التّزَاوُرِ وَتُثْمِرُ التَّعَاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى، فَإِذَا لَمْ تُسْقَ الشَّجَرَةُ يَبِسَتْ، وَإِذَا لَمْ تُثْمِرْ قُطِعَتْ.

(**مَثَلُ الأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ**) وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ الأُخُوَّاتِ (**مَثَلُ الشَّجَرَةِ**) الَّتِي تَنْمُو وَتَبْقَى رَطْبَةً بِمَاءِ المُزْنِ، (**تُسْقَى**) الأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ (**بِمَاءِ التّزَاوُرِ**) لِلَّهِ وَهُوَ الَّذِي

وَرَدَ فِيهِ: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»[1] **(وَتُثْمِرُ التَّعَاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى)** الَّذَيْنِ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمَا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وَالأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الأَشْيَاءِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى التَّعَاوُنِ عَلَى البِرِّ بِفِعْلِ الخَيْرَاتِ وَالتَّقْوَى بِالاحْتِرَازِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، **(فَإِذَا لَمْ تُسْقَ الشَّجَرَةُ)** بِالمَاءِ **(يَبِسَتْ)** لِأَنَّ حَيَاتَهَا بِالمَاء، **(وَإِذَا لَمْ تُثْمِرْ قُطِعَتْ)** إِذْ لَا نَفْعَ فِيهَا غَيْرَ النَّفْعِ الَّذِي فِي أَخْشَابِهَا، كَذَلِكَ الأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ إِذَا لَمْ تُسْقَ بِمَاءِ التّزَاوُرِ يَبِسَتْ، وَإِذَا لَمْ تُثْمِرْ التَّعَاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى يَنْبَغِي قَطْعُهَا؛ لَا خَيْرَ فِي أُخُوَّةٍ لَا تُعِينُ عَلَى القُرْبِ مِنْ رِضَى الرَّحْمَنِ وَالبُعْدِ مِنْ سَخَطِهِ.

٤٩ ــ إِذَا عَمِلْتَ الطَّاعَةَ فَانْظُرْ إِنْ شِئْتَ فِي بِدَايَتِهَا الَّتِي كَانَتْ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ، وَبِذَلِكَ يَنْتَفِي الإِعْجَابُ، وَيَبْقَى شُهُودُ المِنَّةِ لِلّٰهِ تَعَالَى. وَإِنْ شِئْتَ نَظَرْتَ فِي نِهَايَتِهَا الَّتِي هِيَ جَزِيلُ الثَّوَابِ وَحُسْنُ المَآبِ، وَعِنْدَهُ تَعْظُمُ الرَّغْبَةُ وَتَخِفُّ المُدَاوَمَةُ، وَالأَوَّلُ أَتَمُّ.

وَإِذَا وَقَعَتْ مِنْكَ مَعْصِيَةٌ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى بِدَايَتِهَا الَّتِي هِيَ التَّقْدِيرُ، فَيَدْعُوكَ ذَلِكَ إِلَى الاحْتِجَاجِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ المَعْصِيَةِ، وَلٰكِن يَنْبَغِي أَنْ تَنْظُرَ فِي نِهَايَتِهَا الَّتِي هِيَ أَلِيمُ العِقَابِ وَعِنْدَهُ تُبَادِرُ إِلَى التَّوْبَةِ وَتَعْظُمُ الرَّهْبَةُ.

(إِذَا عَمِلْتَ الطَّاعَةَ) الَّتِي يَقَعُ بِهَا فِي الإِعْجَابِ سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ وَضُعَفَاءُ الأَفْهَامِ **(فَانْظُرْ إِنْ شِئْتَ فِي بِدَايَتِهَا الَّتِي كَانَتْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ)** إِذْ لَا حَوْلَ

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب ما جاء في المتحابين في الله.

وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، (**وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ**) وَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ عَمَلٌ لِأَحَدٍ.

(**وَبِذَلِكَ**) المَذْكُورِ (**يَنْتَفِي الإِعْجَابُ**) الَّذِي يُهْلِكُ العِبَادَ وَيَجْعَلُ عَمَلَهُمْ هَبَاءً مَنْثُوراً، (**وَيَبْقَى شُهُودُ المِنَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى**) وَلَوْلَا مَنَّهُ عَلَى عِبَادِهِ الفُقَرَاءِ إِلَى فَضْلِهِ لَمَا شَمُّوا رَائِحَةَ شَرَفِ العِبَادَةِ.

(**وَإِنْ شِئْتَ نَظَرْتَ فِي نِهَايَتِهَا الَّتِي هِيَ جَزِيلُ الثَّوَابِ**) الَّذِي هُوَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (**وَحُسْنُ المَآبِ**) فِي جِوَارِ الكَرِيمِ الوَهَّابِ (**وَعِنْدَهُ تَعْظُمُ الرَّغْبَةُ**) فِيمَا رَغَّبَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ عِبَادَتِهِ (**وَتَخِفُّ المُدَاوَمَةُ**) عَلَى الطَّاعَةِ.

(**وَالأَوَّلُ**) أَيْ: النَّظَرُ إِلَى أَنَّهَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ (**أَتَمُّ**).

(**وَإِذَا وَقَعَتْ مِنْكَ مَعْصِيَةٌ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى بِدَايَتِهَا الَّتِي هِيَ التَّقْدِيرُ، فَيَدْعُوكَ ذَلِكَ إِلَى الاحْتِجَاجِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ المَعْصِيَةِ**) بَلْ ذَلِكَ دَأْبُ الكُفَّارِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ.

(**وَلَكِن يَنْبَغِي أَنْ تَنْظُرَ فِي نِهَايَتِهَا الَّتِي هِيَ أَلِيمُ العِقَابِ**) وَشَدِيدُ العَذَابِ فِي النَّارِ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ أَنْوَاعِ العَذَابِ مِنْ نَارٍ وَزَمْهَرِيرٍ وَعَقَارِبَ وَحَيَّاتٍ وَغِسْلِينَ وَضَرِيعٍ وَزَقُّومٍ وَغَيْرِهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ غَضَبُ الجَبَّارِ (**وَعِنْدَهُ تُبَادِرُ إِلَى التَّوْبَةِ**) لِئَلَّا يَفْجَأَكَ وَبَالُهَا (**وَتَعْظُمُ الرَّهْبَةُ**) مِنَ القَهَّارِ وَإِنْ وَسْوَسَ لَكَ الشَّيْطَانُ بِشَيْءٍ مِنْ بَابِ القَدَرِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ رَبِّي عَدْلٌ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

٥٠ ـ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ: التَّوَاضُعُ فِي الرِّفْعَةِ، وَالتَّجَمُّلُ فِي القِلَّةِ، وَالاقْتِصَادُ فِي الثَّرْوَةِ.

(**مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ**) الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا أَهْلُ الكَمَالِ (**التَّوَاضُعُ فِي الرِّفْعَةِ**) مَعَ العِلْمِ وَالجَاهِ وَالشَّرَفِ، وَهُوَ حَسَنٌ، وَمِنْ ذِي الرِّفْعَةِ أَحْسَنُ، وَضِدُّهُ قَبِيحٌ وَمِنْ ذِي الرَّذَالَةِ أَقْبَحُ، (**وَالتَّجَمُّلُ**) إِظْهَارُ الجَمَالِ بِالثِّيَابِ وَنَحْوِهَا (**فِي القِلَّةِ**) مِنْ أَسْبَابِ المَعِيشَةِ وَهُوَ غَايَةُ الشُّكْرِ، (**وَالاقْتِصَادُ**) بَيْنَ التَّبْذِيرِ وَالتَّقْتِيرِ (**فِي الثَّرْوَةِ**) الغِنَى.

٥١ ـ العَاقِلُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ كَالرَّشِيدِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ، وَالعَالِمُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ كَصَاحِبِ المَالِ الَّذِي لَا رُشْدَ لَهُ.

(**العَاقِلُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ**) بِأُمُورِ الدِّينِ (**كَالرَّشِيدِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ**) وَرُشْدُهُ قَلِيلُ الجَدْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ المَالُ الَّذِي يَسْتَعْمِلُ فِيهِ رُشْدَهُ، كَذَلِكَ عَقْلُ العَاقِلِ قَلِيلُ الفَائِدَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ العِلْمُ الَّذِي يُرْشِدُهُ إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي.

(**وَالعَالِمُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ كَصَاحِبِ المَالِ الَّذِي لَا رُشْدَ لَهُ**) فَيُضَيِّعُ مَالَهُ وَيُتْلِفُهُ فِي أَدْنَى زَمَانٍ، كَذَلِكَ العَالِمُ الَّذِي لَا عَقْلَ عِنْدَهُ يُضَيِّعُ عِلْمَهُ بِوَضْعِهِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ. وَكَثِيراً مَا يَكُونُ سَبَبَ خَسَارَتِهِ وَهَلَاكِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

٥٢ ـ سَخِّرْ عَقْلَكَ لِعِلْمِكَ، وَسَخِّرْ نَفْسَكَ لِعَقْلِكَ.

(**سَخِّرْ عَقْلَكَ**) الَّذِي مَيَّزَكَ بِهِ رَبُّكَ عَنْ غَيْرِكَ مِنَ الحَيَوَانَاتِ (**لِعِلْمِكَ**) فَيَقُودُهُ إِلَى مَا يَنْبَغِي وَيَكُفُّهُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي.

(**وَسَخِّرْ نَفْسَكَ**) الأَمَّارَةَ (**لِعَقْلِكَ**) لِيُقَيِّدَهَا بِقَيْدِهِ وَلَا يُفْلِتَهَا فِيمَا لَا يَنْبَغِي، فَمَنْ فَعَلَ عَكْسَ مَا ذُكِرَ فَقَدْ ضَيَّعَ عِلْمَهُ وَعَقْلَهُ.

٥٣ ـ مَا الشَّأْنُ فِي شُهُودِ التَّقْصِيرِ فِي التَّقْصِيرِ، إِنَّمَا الشَّأْنُ شُهُودُ التَّقْصِيرِ فِي التَّشْمِيرِ.

(**مَا الشَّأْنُ**) الجَلِيلُ (**فِي شُهُودِ التَّقْصِيرِ فِي التَّقْصِيرِ**) فِي ارْتِكَابِ الذَّنْبِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْهَدُهُ كُلُّ عَاقِلٍ وَيُقَبِّحُهُ كُلُّ فَاضِلٍ، (**إِنَّمَا الشَّأْنُ**) العَظِيمُ (**شُهُودُ التَّقْصِيرِ فِي التَّشْمِيرِ**) فِي طَاعَةِ القَدِيرِ، بِأَنْ تَرَى إِنْ لَوْ أَتَيْتَ بِعِبَادَاتِ العَوَالِمِ كُلِّهَا لَمْ تُسَاوِ شَيْئاً وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً؛ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ أَعْلَى وَأَجَلّ، بَلْ رُبَّمَا تَسْتَحْيِي، هَلْ مِثْلُكَ الذَّلِيلُ أَهْلٌ أَنْ يَخْدِمَ ذَلِكَ الجَلِيلِ.

٥٤ ــ يَكُونُ الخَيْرُ فِي الأَكْثَرِ شَاقّاً فِي الحَالِ، حُلْواً فِي المَآلِ، وَمَثَلُ فَاعِلِهِ مَثَلُ الَّذِي يَصْعَدُ فِي العَقَبَةِ الكَئُودِ لَا يَجِدُ الرَّاحَةَ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى أَعْلَاهَا وَالشَّرُّ يَكُونُ فِي الأَكْثَرِ حُلْواً فِي الحَالِ وَشَاقّاً فِي الاسْتِقْبَالِ وَمَثَلُ فَاعِلِهِ مَثَلُ الَّذِي يَقَعُ مِنْ ذُرْوَةِ جَبَلٍ أَوْ بَيْتٍ، لَا يَجِدُ الأَلَمَ حَتَّى يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ.

(يَكُونُ الخَيْرُ فِي الأَكْثَرِ شَاقّاً فِي الحَالِ، حُلْواً فِي المَآلِ، وَمَثَلُ فَاعِلِهِ مَثَلُ الَّذِي يَصْعَدُ فِي العَقَبَةِ الكَئُودِ) الصَّعْبَةِ (لَا يَجِدُ الرَّاحَةَ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى أَعْلَاهَا) الَّذِي فِيهِ نِعَمٌ جَمَّةٌ وَأَفْرَاحٌ كَثِيرَةٌ.

(وَالشَّرُّ يَكُونُ فِي الأَكْثَرِ حُلْواً فِي الحَالِ) لِأَنَّهُ تَسْتَلِذُّهُ النَّفْسُ (وَشَاقّاً فِي الاسْتِقْبَالِ) حِينَ يَظْهَرُ وَبَالُهُ، (وَمَثَلُ فَاعِلِهِ مَثَلُ الَّذِي يَقَعُ مِنْ ذُرْوَةِ جَبَلٍ أَوْ بَيْتٍ، لَا يَجِدُ الأَلَمَ حَتَّى يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ) فَاعِلُ الخَيْرِ لَا يَعْلَمُ فَضَائِلَهُ حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ، وَعَامِلُ الشَّرِّ لَا يَعْلَمُ وَبَالَهُ حَتَّى يَذُوقَ نَكَالَ النَّارِ ذَاتِ الأَكْدَارِ.

٥٥ ــ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَدَّ بِأُخُوَّةِ أَخٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَلَا يَفْعَلُ.

(لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَدَّ بِأُخُوَّةِ أَخٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَكَ) فِي أَمْرِ الدِّينِ أَوْ ضَرُورِيِّ أَمْرِ الدُّنْيَا (فَلَا يَفْعَلُ) لِنُقْصَانٍ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي أُخُوَّتِهِ، وَالأَخُ إِذَا لَمْ يَنْفَعْ أَخَاهُ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي أُخُوَّتِهِ؟!.

٥٦ ــ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْطَفِيَ إِنْسَاناً لِنَفْسِكَ فَلَا بَأْسَ أَنْ تَمْتَحِنَهُ بِمَا لَا يَصِحُّ الاصْطِفَاءُ بِدُونِهِ.

(إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْطَفِيَ) تَخْتَارَ (إِنْسَاناً لِنَفْسِكَ) لِتَتَّخِذَهُ صَاحِباً أَوْ خَادِماً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ (فَلَا بَأْسَ أَنْ تَمْتَحِنَهُ) تُجَرِّبَهُ (بِمَا لَا يَصِحُّ الاصْطِفَاءُ بِدُونِهِ) لِأَنَّ مَنِ اصْطَفَى الشَّيْءَ قَبْلَ التَّجْرِبَةِ كَثِيراً مَا يَقَعُ فِي النَّدَامَةِ وَالحَسْرَةِ، وَلَيْسَ مِنَ الحَزْمِ اصْطِفَاءُ مَنْ لَا يُعْلَمُ حَالُهُ قَبْلَ الامْتِحَانِ.

٥٧ ـ لَا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَطِيعُ القِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَلَا يُحْوِجُكَ لِطَلَبِ حُقُوقِكَ؛ لِكَمَالِ قِيَامِهِ بِهَا.

(**لَا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَطِيعُ القِيَامَ بِحُقُوقِهِ**) لِقُوَّةٍ تَعْلَمُهَا مِنْ نَفْسِكَ، وَسُهُولَةٍ تَعْلَمُهَا مِمَّنْ تُرِيدُ صُحْبَتَهُ (**وَلَا يُحْوِجُكَ لِطَلَبِ حُقُوقِكَ**) الَّتِي تَلْزَمُهُ بِالصُّحْبَةِ (**لِكَمَالِ قِيَامِهِ بِهَا**)، وَلَا تَصْحَبْ مَنْ سِوَاهُ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ لَا تَدُومُ وَلَا تَخْلُو عَنْ خَلَلٍ.

٥٨ ــ مَنْ عَوَّلَ فِي إِسْقَاطِ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَلَى قَبُولِ العُذْرِ كَانَ أَقَلَّ مَا يَلْقَاهُمْ بِهِ الغِشُّ وَالمَكْرُ.

(**مَنْ عَوَّلَ**) اعْتَمَدَ (**فِي إِسْقَاطِ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ**) الَّتِي تَلْزَمُهُ لِلْأُخُوَّةِ الخَاصَّةِ أَوِ العَامَّةِ (**عَلَى قَبُولِ العُذْرِ**) مِمَّنْ قَصَّرَ فِي حُقُوقِهِ (**كَانَ أَقَلَّ مَا يَلْقَاهُمْ بِهِ الغِشُّ وَالمَكْرُ**) وَهُوَ مِنْ دَيْدَنِ المُنَافِقِينَ.

وَالَّذِي يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَوَّلًا فِي إِعْطَاءِ حُقُوقِ الإِخْوَانِ، وَإِنْ وَقَعَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ اتِّفَاقِيّاً يَعْتَذِرُ عِنْدَ مَنْ قَصَّرَ فِي حَقِّهِ مِنْ غَيْرِ مُشَابَهَةٍ بِالمُنَافِقِينَ.

٥٩ ــ أَكْرِمْ إِخْوَانَكَ إِكْرَاماً تَسْتَطِيعُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ؛ وَإِلَّا كَانَ مَآلُ الأَمْرِ إِلَى الوَحْشَةِ وَالقَطِيعَةِ.

(**أَكْرِمْ إِخْوَانَكَ**) الَّذِينَ يُعَاشِرُونَكَ (**إِكْرَاماً تَسْتَطِيعُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ**) بِأَنْ لَا

تُفْرِطَ فِي ذَلِكَ، بَلْ تَأْخُذ بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَخَيْرُ الأُمُورِ أَوَاسِطُهَا، وَلَا تَدُومُ مَعَ الكُلْفَةِ الصُّحْبَةُ كَمَا قَالَ: **(وَإِلَّا كَانَ مَآلُ الأَمْرِ إِلَى الوَحْشَةِ وَالقَطِيعَةِ)** وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ.

٦٠ ــ التَّأْوِيلُ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: يَدُلُّ عَلَى الكَمَالِ، وَهُوَ مَا يُؤَوَّلُ لَيَصِلَ إِلَى الأَفْهَامِ. وَهَذَا النَّوْعُ كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

ـ وَالثَّانِي: مَا يُؤَوَّلُ لِيَصِحَّ كَوْنُهُ حَقّاً أَوْ غَيْرَ بَاطِلٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى النَّقْصِ فَكُلُّ شَيْخٍ يُحْتَاجُ فِي صُحْبَتِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ عَلَى الوَجْهِ الثَّانِي لَا يَكْمُلُ الاقْتِدَاءُ بِهِ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ لَا يُحَصِّلُ كَمَالاً، وَإِنَّمَا يَدْفَعُ نَقْصاً.

(التَّأْوِيلُ) لِلْمُشْكَلِ **(عَلَى ضَرْبَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: يَدُلُّ عَلَى الكَمَالِ) لِلْمُؤَوَّلِ لَهُ **(وَهُوَ مَا يُؤَوَّلُ)** مِنَ الكَلِمِ المُشْكَلَةِ وَنَحْوِهَا **(لِيَصِلَ)** المُؤَوَّلُ **(إِلَى الأَفْهَامِ)** أَيْ: أَفْهَامِ السَّامِعِ الَّذِي لَا يَفْهَمُ المُشْكَلَةَ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ، **(وَهَذَا النَّوْعُ)** مِنَ التَّأْوِيلِ **(كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.**

وَالثَّانِي: مَا يُؤَوَّلُ لِيَصِحَّ كَوْنُهُ حَقّاً أَوْ غَيْرَ بَاطِلٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى النَّقْصِ) أَيْ: عَلَى نَقْصِ المُؤَوَّلِ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَامِلًا فِي عِلْمِهِ وَتَعْبِيرِهِ لَمَا أَتَى بِمَا يُحْتَاجُ لِتَصْحِيحِهِ إِلَى تَأْوِيلٍ. وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي فَنٍّ مِنْ فُنُونِ العِلْمِ وَلَمْ يَتَبَحَّرْ فِيهِ، خُصُوصاً المُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ يُبْرِزُونَ مَعَانِي صَحِيحَةً

فِي كَلِمَاتٍ ظَاهِرُهَا كُفْرٌ، وَلِذَا اشْتَدَّ نَكِيرُ العُلَمَاءِ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ.

(فَكُلُّ شَيْخٍ يُحْتَاجُ فِي صُحْبَتِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ) لِمَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ **(عَلَى الوَجْهِ الثَّانِي)** بِأَنْ يَفْعَلَ فِعْلًا أَوْ يَقُولَ قَوْلًا يُخَالِفُ ظَاهِرَ الشَّرْعِ، وَإِنَّمَا يُصَحَّحُ ـ إِنْ صَحَّ ـ بِالتَّأْوِيلِ، **(لَا يَكْمُلُ الاقْتِدَاءُ بِهِ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ لَا يُحَصِّلُ كَمَالاً، وَإِنَّمَا يَدْفَعُ نَقْصاً)** مَنْسُوباً إِلَيْهِ.

وَأَيْضاً إِنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

ـ مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا صَدَرَ مِنْهُ، فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِهِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ[1].

---

(١) من ذلك قول الإمام الحافظ محيي الدين النووي في شرح كلام مشكل لأبي يزيد البسطامي الذي يقول فيه عن الخلق بعد مجاهدة نفسه: «**فرأيتهم مَوْتَى، فكبَّرت عليهم أربع تكبيرات**»: قوله: «**فرأيتهم موتى**» هو في غاية من النفاسة والحُسْنِ، قلَّ أن يُوجَد في غير كلام النبي ﷺ كلامٌ يحصّل معناه، وأنا أشير إلى معناه بعبارة وجيزة، فمعناه أنه لمّا جاهد هذه المجاهدة وتهذبت نفسه واستنار قلبه واستولى على نفسه وقهرها وملكها ملكا تاما وانقادت له انقيادا خالصا نظر إلى جميع المخلوقين فوجدهم موتى لا حكم لهم، فلا يضرون ولا ينفعون، ولا يعطون ولا يمنعون، ولا يحيون ولا يميتون، ولا يصلون ولا يقطعون، ولا يقربون ولا يبعدون، ولا يسعدون ولا يشقون، ولا يرزقون ولا يحرمون، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، وهذه صفة الأموات، فينبغي أن يعاملوا معاملة الموتى في هذه الأمور المذكورة، وأن لا يخافوا ولا يرجوا ولا يطمع فيما عندهم، ولا يراؤوا ولا يداهنوا ولا يشتغل بهم ولا يحتقروا ولا ينتقصوا ولا تذكر عيوبهم ولا تتبع عثراتهم ولا ينقب عن زلاتهم ولا يحسدوا ولا يستكثر فيهم ما أعطاهم الله تعالى من نعمة، ويرحموا ويعذروا فيما يأتونه من النقائص، مع أنا نقيم الحدود عليهم ما جاء الشرع به من الحدود، ولا يمنعنا إقامة الحد ما قدمناه، ولا يمنعنا أيضا ما قدمناه من إقامة الحد أن نحرص على ستر عوراتهم، من غير تنقص لهم، كما=

ـ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، فَإِمَّا أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَيَعْتَقِدَهُ حَقّاً عَلَى ظَاهِرِهِ فَيَغْوِي، وَالضَّرَرُ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنَ النَّفْعِ الَّذِي يُحَصِّلُهُ مِنْهُ.

ـ وَإِمَّا أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، مَعَ عَدَمِ اعْتِقَادِ حَقِّيَّتِهِ عَلَيْهِ، فَيُكَفِّرُ الشَّيْخَ أَوْ يُبَدِّعُهُ أَوْ يُفَسِّقُهُ، وَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى مَفَاسِدَ كَثِيرَة.

وَالشَّيْخُ الكَامِلُ هُوَ الَّذِي يَسْتَقِيمُ عَلَى مِيزَانِ الشَّرْعِ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا، وَلَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا يَفْتِنُ النَّاسَ.

٦١ ــ مَنْ أَفْرَطَ فِي حُبِّ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا المُبَاحَةِ، وَقَعَ لَا مَحَالَةَ فِي مُوجِبِ النَّارِ أَوِ العَارِ.

(مَنْ أَفْرَطَ فِي حُبِّ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا المُبَاحَةِ، وَقَعَ لَا مَحَالَةَ فِي مُوجِبِ النَّارِ أَوِ العَارِ) أَوْ فِي مُوجِبِهِمَا، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ رَتَعَ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»[1]، وَالشَّهَوَاتُ بَعْضُهَا جَاذِبَاتٌ لِبَعْضٍ، وَقَدْ جُرِّبَ هَذَا كَثِيراً.

= يفعل ذلك بالميت، وإذا ذكرهم ذاكر بشين نهيناه عن الخوض في ذلك كما ننهاه عن ذلك في الميت، ولا نفعل شيئا لهم، ولا نتركه لهم، ولا نمتنع من القيام بشيء من طاعات الله بسببهم، كما لا نمتنع من ذلك بسبب الميت، ولا نكترث بمدحهم ولا نحبه، ولا نكره سبهم إيانا ولا نقابله، **فالحاصل أنهم كالعدم في جميع ما ذكرناه**، فهم مدبَّرون تجري فيهم أحكام الله تعالى، فمن عاملهم هذه المعاملة جمع خير الآخرة والدنيا، نسأل الله الكريم التوفيق لذلك. (بستان العارفين، ص ٥٣، ٥٤)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه؛ وأيضا في كتاب البيوع، باب: الحلال بيّن؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

٦٢ ــ تَخَاصَم العَجْزُ وَالحِرْمَانُ أَيُّهُمَا أَضَرُّ عَلَى صَاحِبِهِ، وَتَرَافَعَا إِلَى العَقْلِ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا أَنَّ العَجْزَ أَصْلٌ وَالحِرْمَان فَرْعُهُ.

(**تَخَاصَم العَجْزُ**) عَنْ فِعْلِ الكَمَالِ (**وَالحِرْمَانُ**) عَنِ الفَوَائِدِ، بِلِسَانِ الحَالِ، (**أَيُّهُمَا أَضَرُّ عَلَى صَاحِبِهِ**) فَقَالَ العَجْزُ لِلْحِرْمَانِ: أَنْتَ أَضَرُّ عَلَيْهِ، وَقَالَ الحِرْمَانُ لَهُ: بَلْ أَنْتَ أَضَرُّ عَلَيْهِ منِّي.

(**وَتَرَافَعَا إِلَى العَقْلِ**) الَّذِي يَعْرِفُ حَقَائِقَ الأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَأَظْهَرَا قِصَّتَهُمَا لَدَيْهِ، (**فَقَضَى بَيْنَهُمَا**) قَاطِعاً تَخَاصُمَهُمَا (**أَنَّ العَجْزَ أَصْلٌ**) لِلْحِرْمَانِ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ، (**وَالحِرْمَان فَرْعُهُ**) المُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِالعَجْزِ عَنْ عَالِي الأُمُورِ فَلْيُبَشِّرْ نَفْسَهُ بِالحِرْمَانِ عَنْ فَوَائِدِهَا.

٦٣ ــ مَا مِنْ طَوِيَّةٍ، إِلَّا وَفِيهَا خَفِيَّةٌ.

(**مَا مِنْ طَوِيَّةٍ**) مِنْ طَوَايَا القُلُوبِ (**إِلَّا وَفِيهَا خَفِيَّةٌ**) فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ فِي طَوِيَّتِهِ خَصْلَةٌ طَيِّبَةٌ يَفُوزُ بِهَا فِي الدَّارَيْنِ، وَكَثِيراً مَا يَظْهَرُ أَثَرُهَا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ فِي طَوِيَّتِهِ خَصْلَةٌ رَدِيئَةٌ يَخْسَرُ بِهَا فِي الكَوْنَيْنِ، وَكَثِيراً مَا تَظْهَرُ عَلَامَاتُهَا عَلَى صَفَحَاتِ بَدَنِهِ.

٦٤ ــ إِذَا صَلُحَتِ المَقَاصِدُ، لَمْ يَخِبِ القَاصِدُ.

(**إِذَا صَلُحَتِ المَقَاصِدُ، لَمْ يَخِبِ القَاصِدُ**)، وَإِذَا فَسَدَتْ خَابَ قَاصِدُهَا فِي الدَّارَيْنِ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا.

٦٥ ــ الشَّيْطَانُ عَلَى إِضْلَالِ العَالِمِ أَحْرَصُ مِنْهُ عَلَى إِضْلَالِ الجَاهِلِ؛ لِأَنَّ العَالِمَ إِذَا ضَلَّ يَضِلُّ بِضَلَالِهِ غَيْرُهُ، وَالجَاهِلُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

(**الشَّيْطَانُ**) الَّذِي طُبِعَ عَلَى عَدَاوَةِ الإِنْسَانِ (**عَلَى إِضْلَالِ العَالِمِ**) الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَهْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ (**أَحْرَصُ مِنْهُ عَلَى إِضْلَالِ الجَاهِلِ، لِأَنَّ العَالِمَ إِذَا ضَلَّ**) عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ (**يَضِلُّ بِضَلَالِهِ غَيْرُهُ**) الَّذِي يَقْتَدِي بِهِ فِي ضَلَالِهِ.

وَمَثَلُ العَالِمِ مَثَلُ دَلِيلِ القَافِلَةِ السَّائِرَةِ فِي طَرِيقٍ ذِي شِعَابٍ وَاشْتِبَاهٍ وَرَاءَهُ، فَإِنِ اسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ اسْتَقَامَتْ، وَإِنْ ضَلَّ ضَلَّتْ.

(**وَالجَاهِلُ لَيْسَ كَذَلِكَ**) وَهُوَ مِثْلَ السَّائِرِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ بِضَلَالِهِ لَا يَضِلُّ غَيْرُهُ.

٦٦ ــ مَنْ أَصْلَحَ نِيَّتَهُ، بَلَغَ أُمْنِيَّتَهُ.

(**مَنْ أَصْلَحَ نِيَّتَهُ**) عَنْ شَوَائِبِ الفَسَادِ وَالرِّيَاءِ (**بَلَغَ أُمْنِيَّتَهُ**) الَّتِي يَتَمَنَّاهَا، وَمَنْ أَفْسَدَهَا لَمْ يَبْلُغْهَا.

٦٧ ـ يَصْعُبُ سُلُوكُ سَبِيلِ النَّجَاةِ عَلَى مَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ حُبُّ المَالِ وَالجَاهُ.

(**يَصْعُبُ سُلُوكُ سَبِيلِ النَّجَاةِ**) بِالاجْتِهَادِ فِيمَا يُرْضِي رَبَّ المَوْجُودَاتِ، وَالاجْتِنَابِ عَمَّا يَكْرَهُهُ خَالِقُ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، (**عَلَى مَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ**)

الَّذِي هُوَ قُطْبُ بَدَنِهِ، عَلَيْهِ مَدَارُهُ صَلَاحاً وَفَسَاداً[1] **(حُبُّ المَالِ)** الَّذِي يَمِيلُ بِصَاحِبِهِ عَنْ صَوْبِ الصَّوَابِ غَالِباً، **(وَالجَاهِ)**؛ فَإِنَّهُمَا قَيْدَانِ ثَقِيلَانِ فِي أَرْجُلِ أَرْبَابِهِمَا، يَمْنَعَانِهِمْ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِ النَّجَاةِ، وَيُوجِبَانِ لَهُمْ غَالِباً الهَلَاكَ.

فَمَنْ أَرَادَ سُلُوكَ سَبِيلَ النَّجَاةِ فَلْيَفُكَّ نَفْسَهُ عَنْهُمَا، وَلْيَرْمِهِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ. وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ قَيَّدَاهُ مِنَ السُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ، وَجَعَلَاهُ فِي الأَسْفَلِينَ. وَلَا يَغْتَرَّنَّ العَاقِلُ بِظَاهِرِهِمَا، فَإِنَّ فِيهِمَا سُمّاً نَاقِعاً[2].

٦٨ ــ الخَوْفُ الصَّادِقُ يَعْمَلُ فِي مَحْوِ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالهِمَمِ الدَّنِيَّةِ عَمَلَ النَّارِ فِي إِحْرَاقِ الأَشْجَارِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وَالرَّجَاءُ الصَّادِقُ يَعْمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ النِّيَّاتِ الطَّيِّبَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَمَلَ المَاءِ فِي الأَرْضِ الهَامِدَةِ الخَاشِعَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]

(الخَوْفُ الصَّادِقُ) مِنَ القَهَّارِ الَّذِي مَنْ يَغْضَبْ عَلَيْهِ يَلْقِيهِ فِي حُفْرَةِ النَّارِ وَلَا يُبَالِي بِمَا يَفْعَلُ، **(يَعْمَلُ فِي مَحْوِ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ)** المُوجِبَةِ لِلزَّلَّاتِ

(١) لقول نبينا ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) سُمٌّ نَاقِعٌ: بالِغٌ قاتِلٌ.

وَالهَفَوَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ المُتَسَبِّبَةِ لِأَشَدِّ العُقُوبَاتِ، **(وَالهِمَمِ الدَّنِيَّةِ)** العَلِيلَةِ، أَيْ: الأُمُورِ الرَّذِيلَةِ **(عَمَلَ النَّارِ فِي إِحْرَاقِ الأَشْجَارِ)** اليَابِسَةِ، فَالخَوْفُ نَارُ اللَّهِ تَعَالَى يَحْرقُ بِهَا مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَيُطَهِّرُ بِهِ مِنْ أَقْذَارِ الأَوْزَارِ وَأَدْنَاسِ الأَرْجَاسِ؛ **(قَالَ اللَّهُ تَعَالَى)** فِي جَنَّة مِثْلَهَا: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ رِيحٌ شَدِيدٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦]).

(وَالرَّجَاءُ الصَّادِقُ) الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الاجْتِهَادُ فِي الطَّاعَاتِ وَالاحْتِرَازُ عَنِ المَعَاصِي **(يَعْمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ النِّيَّاتِ الطَّيِّبَةِ)** الَّتِي هِيَ أُصُولُ الأَعْمَالِ، وَعَلَيْهَا مَدَارُهَا قَبُولًا وَرَدّاً، **(وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ)** الَّتِي هِيَ نَتَائِجُ النِّيَّاتِ الصَّالِحَاتِ **(عَمَلَ المَاءِ فِي الأَرْضِ الهَامِدَةِ الخَاشِعَةِ)** لِيُبْسِهَا وَعَدَمِ نَبَاتِهَا؛ **(قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾) أَيْ: مَيِّتَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا (﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]).

وَالحَاصِلُ أَنَّ الخَوْفَ الصَّادِقَ يَقْطَعُ أَشْجَارَ الأَوْزَارِ، وَبِالرَّجَاءِ الصَّادِقِ يَنْبُتُ نَبَاتُ الطَّاعَاتِ، وَبِذَلِكَ يُتَوَصَّلُ إِلَى دَرَجَاتِ الجَنَّاتِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الدَّرَكَاتِ، وَيُنَالُ رِضَا رَبِّ البَرِيَّاتِ، وَهَذَا غَايَةُ الأُمْنِيَاتِ.

٦٩ ـ يَنْبَغِي أَنْ تُوقِدَ لَكَ سِرَاجاً مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ تَسْتَضِيءُ بِهِ فِي لَيْلِ ظُلُمَاتِ الدُّنْيَا حَتَّى يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَجْرُ المَوْتِ أَوْ شَمْسُ السَّاعَةِ، فَإِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ فِي لَيْلِهَا بِلَا سِرَاجٍ تَنْتَظِرُ طُلُوعَ هَذَا الفَجْرِ أَوْ سُطُوعَ هَذِهِ الشَّمْسِ، حَقَّ عَلَيْكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ

﴿أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

(يَنْبَغِي) لَكَ يَا طَالِبَ الخَيْرِ (أَنْ تُوقِدَ لَكَ سِرَاجاً مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ) بِأَنْ تَعْلَمَ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى رِضَا الحَقِّ، وَمَا يُوجِبُ غَضَبَهُ وَكَرَاهَتَهُ، (وَالعَمَلِ الصَّالِحِ) عَلَى طِبْقِ العِلْمِ النَّافِعِ.

وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا نُورٌ (تَسْتَضِيءُ بِهِ فِي لَيْلِ ظُلُمَاتِ الدُّنْيَا) الَّتِي بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، لَا يُمْكِنُ السُّلُوكُ مَعَهَا إِلَّا بِنُورِ العِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، (حَتَّى يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَجْرُ المَوْتِ) فَتَرْتَفِعُ عَنْكَ، (أَوْ شَمْسُ السَّاعَةِ، فَإِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ فِي لَيْلِهَا) فِي لَيْلِ ظُلُمَاتِ الدُّنْيَا (بِلَا سِرَاجٍ) مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ (تَنْتَظِرُ طُلُوعَ هَذَا الفَجْرِ أَوْ سُطُوعَ هَذِهِ الشَّمْسِ، حَقَّ عَلَيْكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾) عَمَّا يَسْتَرْشِدُ بِهِ إِلَى الحَقِّ (﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]) وَمَفْهُومُهُ: مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ بَصِيراً فَهُوَ فِي الآخِرَةِ بَصِيراً وَأَهْدَى سَبِيلًا.

٧٠ ـ كَفَى بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ مَثُوبَةً وَكَفَى بِحِرْمَانِ الجَنَّةِ عُقُوبَةً.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَ بِهِ آمِينَ: (كَفَى بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ) الجَامِعَةِ لِغَضَبِ القَهَّارِ وَأَخْبَثِ الأَكْدَارِ وَأَغْلَظِ الأَقْذَارِ (مَثُوبَةً) عَلَى الحَسَنَاتِ، وَأَيُّ مَثُوبَةٍ أَعْلَى مِنَ النَّجَاةِ مِنْ هَذِهِ الدَّاهِيَةِ.

(وَكَفَى بِحِرْمَانِ الجَنَّةِ) الجَامِعَةِ لِرُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ وَرِضَا المَنَّانِ وَأَعْلَى أَنْوَاعِ

الامْتِنَانِ وَأَجَلِّ مَرَاتِبِ الإِحْسَانِ وَالقُصُورِ وَالحُورِ وَالوِلْدَانِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يَجِيءُ فِي الجَنَانِ (عُقُوبَةً).

٧١ ـ العَالَمُ بِأَسْرِهِ مُتَلَاشٍ وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ لَا شَيْءَ.

(العَالَمُ بِأَسْرِهِ) كُلُّهُ (مُتَلَاشٍ) شَيْئاً فَشَيْئاً، لَا يَبْقَى دَائِماً، (وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ) بِالنِّسْبَةِ إِلَى وُجُودِ الحَقِّ وَعَظَمَتِهِ (لَا شَيْءَ)؛ وُجُودُهُ كَعَدَمِهِ.

٧٢ ـ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ بِكَ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ.

(مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ بِكَ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ) بِالآثَارِ وَالأَغْيَارِ؛ إِذْ لَو كَشَفَ لَكَ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَعِدَّ وَلَمْ تَتَأَهَّلْ بَعْدُ لِشُهُودِهِ لَتَلَاشَيْتَ وَتَفَانَيْتَ، أَوْ وَقَعْتَ فِيمَا لَا يَنْبَغِي؛ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٧٣ ـ الإِفْرَاطُ فِي الأَمْرِ آيَةٌ عَلَى المَصِيرِ فِيهِ إِلَى التَّفْرِيطِ.

(الإِفْرَاطُ فِي الأَمْرِ آيَةٌ) عَلَامَةٌ (عَلَى المَصِيرِ فِيهِ إِلَى التَّفْرِيطِ)، وَقَلَّ مَنْ أَفْرَطَ فِي شَيْءٍ إِلَّا فَرَّطَ فِيهِ، وَخَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ.

٧٤ ــ مَنْ مَدَحَكَ عِنْدَ رِضَائِهِ بِمَا لَيْسَ فِيكَ، ذَمَّكَ لَا مَحَالَةَ عِنْدَ غَضَبِهِ عَلَيْكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ.

إِذَا آنَسْتُ مِنْ خِلٍّ جَفَاءً ... فَلَا أَجْفُوهُ وَإِنْ هُوَ قَدْ جَفَانِي
وَلَكِنِّي أُفَارِقُهُ بِرِفْقٍ ... وَأُمْسِكُ عَنْ تَنَاوُلِهِ لِسَانِي

(**مَنْ مَدَحَكَ عِنْدَ رِضَائِهِ**) عَنْكَ بَنَحْوِ عَطِيَّةٍ وَإِحْسَانٍ وَجَمَالٍ وَكَمَالٍ (**بِمَا لَيْسَ فِيكَ، ذَمَّكَ لَا مَحَالَةَ عِنْدَ غَضَبِهِ عَلَيْكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ**)؛ لِأَنَّهُ عَبْدُ نَفْسِهِ، يَمْدَحُكَ مَنْ تَرْضَاهُ، وَيَذُمُّ مَنْ تَكْرَهُهُ، فَلَا تُبَالِ بِمَدْحِ هَذَا.

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ العُقَلَاءِ شِعْراً: (**إِذَا آنَسْتُ**) أَحْسَسْتُ (**مِنْ خِلٍّ**) خَلِيلٍ لِي (**جَفَاءً فَلَا أَجْفُوهُ**) جَزَاءً لِجَفَائِهِ، (**وَإِنْ هُوَ قَدْ جَفَانِي**) وَلَيْسَ مِنْ دَأْبِ الكُرَمَاءِ مُقَابَلَةُ الجَفَاءِ بِالجَفَاءِ (**وَلَكِنِّي أُفَارِقُهُ بِرِفْقٍ وَأُمْسِكُ عَنْ تَنَاوُلِهِ لِسَانِي**) فَلَا أَقَعُ فِي عِرْضِهِ.

وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَ إِذَا جَفَاهُ خِلُّهُ، وَشَأْنُ الكُرَمَاءِ المُسَامَحَةُ فِي الأَشْيَاءِ.

٧٥ ــ الذِّكْرُ لِلّٰهِ مَغْنَاطِيسُ القُلُوبِ يَجْذِبُهَا بِخَاصِّيَّتِهِ مِنْ مَوَاطِنِ الغَفْلَةِ إِلَى عَوَالِمِ الغُيُوبِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَ بِهِ: (**الذِّكْرُ**) القَلْبِيُّ، وَاللِّسَانِيُّ الخَالِصُ (**لِلّٰهِ**) بِأَيِّ نَوْعٍ كَانَ (**مَغْنَاطِيسُ القُلُوبِ**) الَّتِي هِيَ مَحَالُّ الأَكْدَارِ وَالظُّلُمَاتِ وَالبُعْدِ عَنِ الحَقِّ، وَهُوَ حَجَرٌ يَجْذِبُ الحَدِيدَ إِلَيْهِ بِخَاصِّيَّةٍ.

(**يَجْذِبُهَا بِخَاصِّيَّتِهِ**) الَّتِي وُضِعَتْ فِيهِ (**مِنْ مَوَاطِنِ الغَفْلَةِ إِلَى عَوَالِمِ الغُيُوبِ**) وَذَلِكَ لِأَنَّ لِلذِّكْرِ نُوراً لَا يَزَالُ يَدْفَعُ ظُلُمَاتِ القُلُوبِ المُظْلِمَةِ بِالآثَارِ، المُتَكَدِّرَةِ بِالأَكْدَارِ، حَتَّى تَتَنَوَّرَ وَتَنْكَشِفَ لَهَا حَقَائِقُ الأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَتَظْهَرَ لَهَا الأُمُورُ الَّتِي لَا تُدْرَكُ إِلَّا بِنُورِ القُلُوبِ.

وَلِذَا لَا يَزَالُ الذَّاكِرُ يَتَرَقَّى إِلَى أَنْ يَنْكَشِفَ لَهُ مِنَ المُغَيَّبَاتِ وَيَرَى صُوَرَ المَلَائِكَةِ، وَيَسْمَعَ كَلَامَهُمْ، وَيَفْهَمَ أَذْكَارَ الجَمَادَاتِ وَكَلِمَاتِهَا.

٧٦ ـ لَا يَطْمَعُ فِي بُلُوغِ الآمَالِ وَالأَوْطَارِ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى رُكُوبِ الأَهْوَالِ وَالأَخْطَارِ.

(**لَا يَطْمَعُ فِي بُلُوغِ الآمَالِ**) العَالِيَةِ الَّتِي هِيَ المَعَارِفُ الرَّبَّانِيَّةُ (**وَالأَوْطَارِ**) الَّتِي هِيَ النِّعَمُ الجَلِيلَةُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَالأَوْطَارُ جَمْعُ وَطَر: وَهُوَ الحَاجَةُ، (**مَنْ لَمْ يُوَطِّنْ نَفْسَهُ**) الهَرَّابَةَ عَنْ أَثْقَالِ الطَّاعَاتِ (**عَلَى رُكُوبِ الأَهْوَالِ وَالأَخْطَارِ**) الطَّارِئَةِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَعْلَى الآمَالِ وَالأَوْطَارِ.

وَلَيْسَتْ بِسَهْلَةٍ حَتَّى يَرُومَهَا البَطَّالُونَ، وَلَا بِرَخِيصَةٍ حَتَّى يَسُومَهَا المُفْلِسُونَ، إِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ مُتَعَسِّرَةٌ، ثَمَنُهَا بَذْلُ الأَرْبَاحِ وَالأَشْبَاحِ وَالأَرْوَاحِ، فَمَنْ رَامَهَا فَلْيَبْذِلْ مَالَهُ وَبَدَنَهُ وَنَفْسَهُ لَهَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

٧٧ ــ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُخَاطِبَ الجَاهِلَ الَّذِي يَظُنُّ بِنَفْسِهِ العَقْلَ أَصْلاً؛ لِأَنَّهُ إِنْ خَاطَبَهُ عَلَى مُقْتَضَى عَقْلِهِ كَانَ مُضَيِّعاً لِلْعَقْلِ وَمُسْتَهِيناً بِفَضْلِهِ. وَإِنْ خَاطَبَهُ بِحَسَبِ جَهْلِهِ كَانَ مُتَشَبِّهاً بِهِ وَمَعْدُوداً مِثْلَهُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

(**لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُخَاطِبَ الجَاهِلَ الَّذِي يَظُنُّ بِنَفْسِهِ العَقْلَ أَصْلاً؛ لِأَنَّهُ إِنْ خَاطَبَهُ عَلَى مُقْتَضَى عَقْلِهِ كَانَ مُضَيِّعاً لِلْعَقْلِ**) حَيْثُ اسْتَعْمَلَهُ مَعَ مَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ، (**وَمُسْتَهِيناً بِفَضْلِهِ**)؛ لِأَنَّ مَنِ اخْتَلَّ عَقْلُهُ يَرَى نَفْسَهُ صَحِيحَ العَقْلِ، وَيَرَى صَحِيحَ العَقْلِ فِي الوَاقِعِ مُخْتَلَّهُ فَيُهِينُهُ، أَلَا تَرَى إِلَى الكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لِأَعْقَلِ الخَلْقِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

(**وَإِنْ خَاطَبَهُ بِحَسَبِ جَهْلِهِ**) وَمَشَى عَلَى طِبْقِ قِلَّةِ عَقْلِهِ (**كَانَ مُتَشَبِّهاً بِهِ**) فِي جَهْلِهِ حَيْثُ خَاطَبَهُ عَلَى طِبْقِ جَهْلِهِ، (**وَمَعْدُوداً مِثْلَهُ**) لِأَنَّ العَاقِلَ إِذَا مَشَى مَشْيَ الجَاهِلِ يُعَدُّ جَاهِلًا؛ (**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ**: (﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ**﴾) عَنِ النَّاسِ (﴿**وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ**﴾) بِالمَعْرُوفِ الشَّرْعِيِّ (﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩])) وَلَا تُعَامِلْهُمْ عَلَى طِبْقِ جَهْلِهِمْ.

٧٨ ــ مَنْ أَرْضَاكَ بِمَا يَضُرُّكَ فِي دِينِكَ ــ كَالمُدَاهَنَةِ لَكَ وَعَدَمِ النُّصْحِ وَالتَّبْصِيرِ بِالعُيُوبِ ــ فَهُوَ لَكَ عَدُوٌّ، وَإِنْ كَانَتْ نَفْسُكَ تَمِيلُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ طَبْعُهَا وَهَوَاهَا، وَهُوَ كَالطَّعَامِ اللَّذِيذِ المُلَائِمِ، وَفِيهِ السُّمُّ النَّاقِعُ.

وَمَنْ أَسْخَطَكَ بِمَا يَنْفَعُكَ فِي دِينِكَ ـ مِثْل التَّنْبِيهِ عَلَى العُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ الَّتِي هِيَ فِيكَ ـ فَهُوَ لَكَ وَلِيٌّ وَإِنْ كَرِهْتَهُ بِطَبْعِكَ، وَمَثَلُهُ كَالدَّوَاءِ المُرِّ الَّذِي يَكُونُ فِي ضِمْنِهِ العَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ.

(**مَنْ أَرْضَاكَ بِمَا يَضُرُّكَ فِي دِينِكَ**) الَّذِي هُوَ أَعَزُّ الأُمُورِ عِنْدَ المُسْلِمِ (**كَالمُدَاهَنَةِ لَكَ**) إِذَا فَعَلْتَ مُنْكَراً (**وَعَدَمِ النُّصْحِ**) مَعَكَ بِعَدَمِ بَيَانِ حَالِكَ (**وَ**) عَدَمِ (**التَّبْصِيرِ بِالعُيُوبِ**) الَّتِي فِيكَ لِتَحْتَرِزَ عَنْهَا، مَعَ أَنَّ المُؤْمِنَ مِرْآةُ المُؤْمِنِ، لَا يُدَاهِنُهُ إِذَا أَتَى مُنْكَراً، بَلْ يَنْهَاهُ عَنْهُ مَعَ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِ، وَيَنْصَحُهُ بِبَيَانِ حَالِهِ لِيَتَجَنَّبَ عَمَّا يَنْبَغِي الاجْتِنَابُ عَنْهُ، وَيُبَصِّرُهُ عُيُوبَهُ لِيُنَظِّفَ نَفْسَهُ مِنْ أَوْسَاخِهَا قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِوَبَالِهَا.

(**فَهُوَ لَكَ عَدُوٌّ**)؛ إِذْ لَوْ كَانَ مُحِبَّكَ لَأَرْشَدَكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فِي الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَغُشَّكَ، (**وَإِنْ كَانَتْ نَفْسُكَ**) المُدَّعِيَةُ لَهَا الكَمَالَ (**تَمِيلُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ طَبْعُهَا وَهَوَاهَا**) فَإِنَّهَا تُحِبُّ مَنْ يُدَاهِنُهَا وَيُرِيهَا الكَمَالَ، (**وَهُوَ**) فِي الضَّرَرِ (**كَالطَّعَامِ اللَّذِيذِ**) الَّذِي تَشْتَهِيهِ (**المُلَائِمِ**) لِلْأَكْلِ (**وَفِيهِ السُّمُّ النَّاقِعُ**) البَالِغُ الشَّدِيدُ.

(**وَمَنْ أَسْخَطَكَ بِمَا يَنْفَعُكَ فِي دِينِكَ مِثْلَ التَّنْبِيهِ عَلَى العُيُوبِ**) الَّتِي فِيكَ (**وَالنَّقَائِصِ الَّتِي هِيَ فِيكَ**) وَمَنْ يَخْلُو عَنْهَا؟! لَوْ فَتَّشَ مَنْ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ التَّطَهُّرَ عَنْهَا لَوَجَدَ مِنْهَا فِيهَا مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، (**فَهُوَ لَكَ وَلِيٌّ**) فَاسْمَعْ كَلَامَهُ، وَاقْبَلْ نُصْحَهُ، وَلَا تُعَادِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ الأَغْبِيَاءُ (**وَإِنْ كَرِهْتَهُ بِطَبْعِكَ**) وَالإِنْسَانُ مَطْبُوعٌ عَلَى بُغْضِ مَنْ يَذْكُرُ لَهُ عَيْبَهُ، (**وَمَثَلُهُ كَالدَّوَاءِ المُرِّ الَّذِي يَكُونُ فِي ضِمْنِهِ العَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ**).

عَجَباً لِغَبَاوَتِنَا! إِذَا بَيَّنَ أَحَدٌ أَمْرَاضَنَا الَّتِي تَضُرُّ بِبَدَنِنَا أَجَبْنَاهُ، وَسَمِعْنَا قَوْلَهُ، وَسَعَيْنَا فِي جَلْبِ مَا يَدْفَعُهَا عَنْهَا، وَصَبَرْنَا عَلَى مَرَارَةِ الأَدْوِيَةِ، وَشَكَرْنَا الطَّبِيبَ، وَإِذَا بَيَّنَ لَنَا أَحَدٌ عُيُوبَنَا الَّتِي تَضُرُّ بِدِينِنَا أَبْغَضْنَاهُ، وَلَمْ نَسْمَعْ قَوْلَهُ، وَلَمْ نَسْعَ فِي دَفْعِ مَا فِينَا مِنَ القَبَائِحِ، وَلَمْ نَصْبِرْ عَلَى أَثْقَالِ الطَّاعَاتِ الَّتِي هِيَ أَدْوِيَةُ الأَمْرَاضِ البَاطِنَةِ، وَهَذَا شَيْءٌ عُجَابٌ عِنْدَ أُولِي الأَلْبَابِ.

٧٩ ــ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْكُرَهُ النَّاسُ وَيُثْنُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الكَمَالِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ خِلَافَهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَذُمُّوهُ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ انْطِوَاءَهُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَصِيرَ يَفْرَح وَيَمِيل إِلَى مَنْ يَمْدَحُهُ، وَيَنْفُر وَيَكْرَه مَنْ يَذُمُّهُ، فَقَدْ عَظُمَتْ حَمَاقَتُهُ وَتَمَّتْ غَبَاوَتُهُ.

(**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْكُرَهُ النَّاسُ وَيُثْنُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الكَمَالِ**) الَّذِي تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ (**وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ خِلَافَهُ**) وَالإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ، (**وَكَرِهَ أَنْ يَذُمُّوهُ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ انْطِوَاءَهُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَصِيرَ يَفْرَح وَيَمِيل إِلَى مَنْ يَمْدَحُهُ**) بِذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيهِ عِنْدَهُ، (**وَيَنْفُر وَيَكْرَه مَنْ يَذُمُّهُ**) حَتَّى كَأَنَّهُ أَعْدَى أَعْدَائِهِ، (**فَقَدْ عَظُمَتْ حَمَاقَتُهُ**) حَيْثُ يَتْرُكُ يَقِينَهُ لِكَذِبٍ أَوْ خَيَالِ غَيْرِهِ، وَمِثْلُهُ مَنْ يَرَى نَفْسَهُ غَنِيّاً إِذَا قِيلَ لَهُ: عِنْدَكَ أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ، مَعَ أَنَّهُ مَا عِنْدَهُ شَيْءٌ، (**وَتَمَّتْ غَبَاوَتُهُ**) حَيْثُ يَكْرَهُ مَنْ يَنْصَحُهُ وَيُرِيدُ إِصْلَاحَهُ، وَهَذَا حَالُ أَغْلَبِنَا.

٨٠ ــ الإِيمَانُ شَجَرَةٌ ثَابِتَةٌ فِي أَرْضِ القَلْبِ، وَالاعْتِقَادَاتُ وَالمَعَارِفُ الإِيمَانِيَّةُ بِمَنْزِلَةِ الأُصُولِ وَالعُرُوقِ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَالأَخْلَاقُ المَحْمُودَةُ وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ بِمَنْزِلَةِ الفُرُوعِ وَالغُصُونِ لَهَا.

وَمِثَالُ المَوْتِ وَمَا يَعْرِضُ عِنْدَهُ مِنَ الفِتَنِ وَيَحْصُلُ بِوَاسِطَتِهِ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ: كَالسَّيْلِ القَوِيِّ الَّذِي يَجْرِي عَلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ، أَوِ الرِّيحِ المُزَعْزِعَةِ الَّتِي تُحَرِّكُ فُرُوعَهَا وَتَمِيلُ بِهَا يَمِيناً وَشِمَالاً.

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ الشَّرِيفَةُ فِي نِهَايَةِ القُوَّةِ وَالنُّمُوِّ وَالرُّسُوخِ، فُرُوعاً وَأُصُولاً، خِيفَ عَلَيْهَا الانْقِلَاعُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اشْتَدَّ خَوْفُ الأَكَابِرِ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ وَزَيْغِ القَلْبِ عِنْدَ المَوْتِ.

ثُمَّ إِنَّ القَوَادِحَ وَالعَوَارِضَ الَّتِي تَعْرِضُ لِأُصُولِهَا مِنَ البِدَعِ وَالشُّكُوكِ وَالاضْطِرَابِ فِي أَمْرِ الآخِرَةِ، يَجْرِي مَجْرَى مَا يَعْرِضُ فِي أُصُولِ الشَّجَرَةِ مِنَ الآفَاتِ وَالأَخْلَاقِ المَذْمُومَةِ، وَالمَعَاصِي تَجْرِي مِنْهَا مَجْرَى مَا يَقَعُ لِفُرُوعِ الشَّجَرَةِ وَأَغْصَانِهَا مِنَ العَوَارِضِ، فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَ الَّذِي يَقْدَحُ فِي الأَصْلِ وَيُوهِنُهُ أَضَرَّ عَلَى الشَّجَرَةِ كَثِيراً مِنَ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الفُرُوعِ.

وَلِهَذَا عَظُمَ أَمْرُ البِدْعَةِ وَالشَّكُّ فِي اليَوْمِ الآخِرِ، وَكَانَ عَلَى صَاحِبِهِ أَضَرَّ مِنَ المَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ. نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالوَفَاةَ عَلَى الإِسْلَامِ.

(**الإِيمَانُ**) الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ (**شَجَرَةٌ ثَابِتَةٌ**) أَيْ: ثَابِتٌ أَصْلُهَا (**فِي أَرْضِ القَلْبِ**) الَّذِي هُوَ مَنْبَتُ المَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ وَالعُلُومِ الرَّبَّانِيَّةِ، (**وَالاعْتِقَادَاتُ**) الحَقَّةُ المُوَافِقَةُ لِلْوَاقِعِ (**وَالمَعَارِفُ الإِيمَانِيَّةُ بِمَنْزِلَةِ الأُصُولِ وَالعُرُوقِ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ**) الإِيمَانِيَّةِ.

(**وَالأَخْلاَقُ المَحْمُودَةُ**) كَالكَرَمِ وَالجُودِ وَالحِلْمِ وَالرَّأْفَةِ، (**وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ**) كَالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ وَالحَجِّ (**بِمَنْزِلَةِ الفُرُوعِ وَالغُصُونِ لَهَا**) أَيْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ الإِيمَانِيَّةِ، هَذِهِ زِينَتُهَا وَكَمَالُهَا، كَمَا أَنَّ الاعْتِقَادَات وَالمَعَارِفَ أَسَاسُهَا.

(**وَمِثَالُ المَوْتِ**) الَّذِي وَقْتُهُ وَقْتُ ارْتِحَالٍ مِنْ هَذِهِ الفَانِيَةِ إِلَى البَاقِيَةِ، (**وَمَا يَعْرِضُ عِنْدَهُ مِنَ الفِتَنِ**) الشَّيْطَانِيَّةِ حَيْثُ يَظْهَرُ لِلْمُحْتَضِرِ وَيُعَالِجُ أَشَدَّ العِلاَجِ أَنْ يَسْلُبَ إِيمَانَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ مِمَّا هُوَ أَوْلَى لَهُ، (**وَيَحْصُلُ بِوَاسِطَتِهِ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ**)، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ أَلَمَ شِدَّةِ المَوْتِ أَشَدُّ مِنَ الضَّرْبِ بِأَلْفِ سَيْفٍ، (**كَالسَّيْلِ القَوِيِّ**) لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ انْدِفَاعِهِ (**الَّذِي يَجْرِي عَلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ**) وَيَأْكُلُ أَصْلَهَا وَيُضْعِفُ عُرُوقَهَا، وَكَثِيراً مَا يُسْقِطُهَا، (**أَوِ الرِّيحِ المُزَعْزِعَةِ**) لَهَا (**الَّتِي تُحَرِّكُ فُرُوعَهَا**) تَحْرِيكاً شَدِيداً يُؤَثِّرُ فِي وَهَنِ عُرُوقِهَا، (**وَتَمِيلُ بِهَا يَمِيناً وَشِمَالاً**) وَكَثِيراً مَا تُقَلِّعُ مَا تُزَعْزِعُهُ.

(**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ**) الإِيمَانِيَّةُ (**الشَّرِيفَةُ**) الَّتِي نِيطَ الشَّرَفُ كُلُّهُ بِهَا (**فِي نِهَايَةِ القُوَّةِ**) فِي اعْتِقَادِهَا وَمَعَارِفِهَا (**وَالنُّمُوِّ وَالرُّسُوخِ، فُرُوعاً وَأُصُولاً، خِيفَ عَلَيْهَا الانْقِلاَعِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ**) الَّذِي تُزَعْزِعُهُ فِيهِ الفِتَنُ وَالشَّدَائِدُ.

(**وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ**) الَّذِي مَرَّ (**اشْتَدَّ خَوْفُ الأَكَابِرِ**) الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا لَا

يَعْلَمُهُ الأَصَاغِرُ، (**مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ**)، وَالأَمْرُ بِالخَوَاتِيمِ، (**وَزَيْغِ القَلْبِ**) الَّذِي يَتَقَلَّبُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، (**عِنْدَ المَوْتِ**) نَسْأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ عَلَى مَا يُحِبُّ وَيَرْضَى عِنْدَهُ.

ثُمَّ مَدَارُ الخَاتِمَةِ عَلَى السَّابِقَةِ، فَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ فِي الأَزَلِ لَا تَتَقَلَّعُ شَجَرَةُ إِيمَانِهِ بِالدَّوَاهِي النَّازِلَةِ عِنْدَ حُلُولِ الأَجَلِ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ فِيهِ تَنْقَلِعُ بِمَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ.

(**ثُمَّ إِنَّ القَوَادِحَ**) فِي الدِّينِ (**وَالعَوَارِضَ**) المُوهِنَةَ لَهُ (**الَّتِي تَعْرِضُ لِأُصُولِهَا**) الَّتِي هِيَ العَقَائِدُ (**مِنَ البِدَعِ**) فِي الاعْتِقَادَاتِ وَهُوَ اعْتِقَادُ البَاطِلِ حَقّاً لِشُبْهَةٍ، (**وَالشُّكُوكِ**) الطَّارِئَةِ فِي الأُمُورِ الحَقَّةِ، (**وَالاضْطِرَابِ فِي أَمْرِ الآخِرَةِ، يَجْرِي مَجْرَى مَا يَعْرِضُ فِي أُصُولِ الشَّجَرَةِ مِنَ الآفَاتِ**) المُوجِبَةِ لِوَهَنِهَا وَسُقُوطِهَا، وَهِيَ أَشَدُّ ضَرَراً مِنَ الآفَاتِ الطَّارِئَةِ عَلَى فُرُوعِهَا، (**وَالأَخْلَاقِ المَذْمُومَةِ**) كَالحَسَدِ وَالحِقْدِ وَالعَدَاوَةِ وَالتَّكَبُّرِ.

(**وَالمَعَاصِي**) كَالزِّنَا وَشُرْبِ الخَمْرِ وَالرِّبَا وَالرِّشْوَةِ (**تَجْرِي مِنْهَا مَجْرَى مَا يَقَعُ لِفُرُوعِ الشَّجَرَةِ وَأَغْصَانِهَا مِنَ العَوَارِضِ**) المُوهِنَةِ لَهَا، (**فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَ الَّذِي يَقْدَحُ فِي الأَصْلِ وَيُوهِنُهُ أَضَرَّ عَلَى الشَّجَرَةِ كَثِيراً مِنَ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الفُرُوعِ**) وَإِنْ كَانَ الكُلُّ مُضِرّاً لَهَا؛ لِأَنَّ مَا يُوهِنُ أَصْلَهَا يُوجِبُ إِتْلَافَهَا كُلّهَا، وَمَا يُوهِنُ فُرُوعَهَا يُوجِبُ إِتْلَافَ زِينَتِهَا.

(**وَلِهَذَا عَظُمَ أَمْرُ البِدْعَةِ**) فِي العَقِيدَةِ (**وَالشَّكُّ فِي اليَوْمِ الآخِرِ، وَكَانَ**) المَذْكُورُ (**عَلَى صَاحِبِهِ أَضَرَّ مِنَ المَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ**) فَإِنَّهُ يُوجِبُ انْقِلَاعَ

الشَّجَرَةِ الإِيمَانِيَّةِ مِنْ أَصْلِهَا، بِخِلَافِهَا فَإِنَّهَا تُوجِبُ النَّقْصَ فِي زِينَتِهَا.

(**نَسْأَلُ اللَّهَ**) الَّذِي بِيَدِهِ الأَمْرُ كُلُّهُ (**العَافِيَةَ**) مِنَ العَوَارِضِ العَارِضَةِ لِشَجَرَةِ الإِيمَانِ (**وَالوَفَاةَ عَلَى الإِسْلَامِ**) آمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

٨١ ــ الدُّنْيَا تُنَادِي عَلَى نَفْسِهَا بِلِسَانِ الحَالِ، خِطَاباً لِلرَّاغِبِينَ فِيهَا: احْذَرُونِي فَإِنَّنِي فِتْنَةٌ، وَخُذُوا مِنِّي زَادَ الآخِرَةِ، وَامْتَثِلُوا أَمْرَ اللهِ لَكُمْ فِي تَرْكِكُمْ إِيَّايَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِيَّ وَالمُتَمَتِّعِينَ بِي، وَانْظُرُوا فِي سِيَرِهِمْ وَكَيْفَ ذَهَبُوا وَانْقَلَبُوا إِلَى الآخِرَةِ، الزَّاهِدُونَ مِنْهُمْ بِنَعِيمٍ لَا يَنْقَضِي، وَأَهْلُ الحِرْصِ بِحَسْرَةٍ لَا تَنْقَطِعُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَ بِهِ: (**الدُّنْيَا**) الَّتِي ظَاهِرُهَا غُرُورٌ وَبَاطِنُهَا شُرُورٌ وَزُورٌ (**تُنَادِي عَلَى نَفْسِهَا**) الَّتِي ظَاهِرُهَا عَلَى خِلَافِ بَاطِنِهَا (**بِلِسَانِ الحَالِ خِطَاباً لِلرَّاغِبِينَ فِيهَا**) العَاشِقِينَ لَهَا وَالسَّاعِينَ إِلَيْهَا: (**احْذَرُونِي**) يَا عُشَّاقِي؛ (**فَإِنَّنِي فِتْنَةٌ**) أَفْتِنُ العِبَادَ عَنِ الرَّشَادِ وَأُوقِعُهُمْ فِي المَهَاوِي وَالمَهَالِكِ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَغْتَرُّوا بِظَاهِرِي؛ فَإِنِّي كَطَعَامٍ شَهِيٍّ ظَاهِرُهُ طَيِّبٌ وَفِي بَاطِنِهِ سُمٌّ قَاتِلٌ.

(**وَخُذُوا مِنِّي زَادَ الآخِرَةِ**) بِأَنْ تَصْرِفُونِي فِيمَا يُوجِبُ فَوْزَكُمْ بِنَعِيمِهَا، فَإِنِّي مَزْرَعَتُهَا، وَلَا تَغْفَلُوا بِي عَنْهَا، (**وَامْتَثِلُوا أَمْرَ اللَّهِ لَكُمْ فِي تَرْكِكُمْ إِيَّايَ**) وَذَلِكَ أَنَّ رَبِّي حَبَّبَنِي فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَحْلَانِي فِي عُيُونِكُمْ، وَامْتَحَنَكُمْ بِأَنْ مَنَعَكُمْ مِنْ أَنْ تَأْخُذُوا مِنِّي مَا يَكْرَهُهُ أَوْ يَشْغَلُكُمْ عَنْهُ لِيَعْلَمَ هَلْ تُطِيعُونَهُ فِي ذَلِكَ أَمْ لَا.

فَأَطِيعُوا مَوْلَاكُمْ فِي تَرْكِي لَعَلَّكُمْ تَفُوزُوا بِفَوْزِ امْتِثَالِهِ، وَلَا تُطِيعُوا أَنْفُسَكُمْ

فَإِنَّ مَنْ أَطَاعَهَا أَهْلَكَتْهُ، (**وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِيَّ**) الَّذِينَ عَرَفُوا خِسَّتِي وَاسْتَنْكَفُوا مِنْ أَنْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مِثْلِي، (**وَالمُتَمَتِّعِينَ بِي**) الَّذِينَ رَأَوْا ظَاهِرِي وَعَمَوْا عَنْ بَاطِنِي، فَتَهَالَكُوا عَلَى التَّمَتُّعِ بِي، وَرَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ هِيَ البُغْيَةُ الكُبْرَى.

(**وَانْظُرُوا فِي سِيَرِهِمْ**) حَيْثُ عَاشَ الزُّهَّادُ فِي عِزٍّ وَعَفَافٍ وَشَرَفٍ لَا يَزُولُ، وَتَطَهُّرٍ عَنِ الأَوْسَاخِ، وَعَاشَ كِلَابِي فِي ذُلٍّ وَتَلَطُّخٍ بِأَكْدَارِي مُبْتَلِينَ بِدَوَاهِيَّ، أُبْكِي مَنْ أُفَارِقُهُ وَأُنَجِّسُ مَنْ أُعَانِقُهُ.

(**وَكَيْفَ ذَهَبُوا وَانْقَلَبُوا إِلَى الآخِرَةِ**) فَهَؤُلَاءِ الزُّهَّادُ انْقَلَبُوا بِتِجَارَةٍ لَنْ تَبُورَ وَعِزٍّ لَا يَفْنَى، وَهَؤُلَاءِ الرَّاغِبُونَ فِيَّ انْقَلَبُوا بِخَسَارَةٍ وَنَدَامَةٍ وَحَسْرَةٍ، تِلْكَ قُبُورُهُمْ المَبْغُوضَةُ، وَهَذِهِ قُصُورُهُمْ المَمْقُوتَةُ، تَرَكُوا مَا جَمَعُوا لِغَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ: (**الزَّاهِدُونَ مِنْهُمْ**) مُتَلَبِّسُونَ (**بِنَعِيمٍ لَا يَنْقَضِي**) أَبَدَ الآبَادِ، (**وَأَهْلُ الحِرْصِ**) بِي (**بِحَسْرَةٍ لَا تَنْقَطِعُ**) سَرْمَداً، لَكِنْ لَا يَسْمَعُ نِدَاءَهَا إِلَّا مَنْ لَمْ يَصِرْ أَعْمَى وَأَصَمَّ بِحُبِّهَا لِأَنَّ حُبَّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ.

٨٢ ــ الكَمَالُ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ: العِلْمُ، وَبِهِ يُعْرَفُ حَقُّ اللهِ تَعَالَى. وَالعَمَلُ بِالعِلْمِ، وَهُوَ القِيَامُ بِأَمْرِ اللهِ. وَالإِخْلَاصُ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَهُوَ تَصْفِيَةُ مَا لِلهِ وَالبَرَاءَةُ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَهُوَ الاعْتِمَادُ عَلَى اللهِ. فَمَنْ عَرَفَ حَقَّ اللهِ، وَقَامَ بِأَمْرِ اللهِ، وَصَفَّى مَا لِلهِ وَاعْتَمَدَ عَلَى اللهِ، فَهُوَ الإِنْسَانُ المُرْتَضَى، الوَلِيُّ لِلهِ المُجْتَبَى.

(**الكَمَالُ**) الدِّينِيُّ (**أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ**:

ـ **العِلْمُ**) بِاللَّهِ وَبِأَحْكَامِهِ، (**وَبِهِ يُعْرَفُ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى**) اللَّازِمُ عَلَى خَلْقِهِ، مِنَ الاعْتِقَادِ فِيهِ تَعَالَى وَفِيمَا قَالَ، وَإِتْيَانِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرْكِ مَا زَجَرَ عَنْهُ، وَهُوَ الأَسَاسُ.

ـ (**وَالعَمَلُ بِالعِلْمِ، وَهُوَ القِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ**) ظَاهِراً وَبَاطِناً وَفِعْلًا وَتَرْكاً، وَالعِلْمُ بِلَا عَمَلٍ كَالشَّجَرِ بِلَا ثَمَرٍ.

ـ (**وَالإِخْلَاصُ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ**) بِأَنْ يُرَادَ بِهِمَا وَجْهُ اللَّهِ فَقَطْ، (**وَهُوَ تَصْفِيَةُ مَا لِلَّهِ**) عَنْ شَوَائِبِ شِرْكَةِ غَيْرِهِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُهُمَا قَبُولًا وَرَدّاً.

ـ (**وَالبَرَاءَةُ مِنَ الحَوْلِ**) فِي دَفْعِ مَا يَضُرُّ (**وَالقُوَّةِ**) فِي جَلْبِ مَا يَنْفَعُ (**وَهُوَ الاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ**) الَّذِي لَهُ الحَوْلُ وَالقُوَّةُ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنْهُمَا شَيْءٌ.

(**فَمَنْ عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ**) بِالعِلْمِ الَّذِي عَلِمَهُ بِلِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ أَوْ وُهِبَهُ، (**وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ**) بِالعَمَلِ عَلَى العِلْمِ، (**وَصَفَّى**) وَجَعَلَ صَافِياً عَنْ مُلَاحَظَةِ الغَيْرِ (**مَا لِلَّهِ**) عَلَيْهِ، (**وَاعْتَمَدَ عَلَى اللَّهِ**) فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا (**فَهُوَ الإِنْسَانُ المُرْتَضَى**) ارْتَضَاهُ مَوْلَاهُ، (**الوَلِيُّ لِلَّهِ المُجْتَبَى**) الَّذِي اجْتَبَاهُ مِنْ عِبَادِهِ. وَمَنْ قَصَّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ نَقُصَ مِنْ كَمَالِهِ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ.

٨٣ ــ السَّمَاعُ يُشْفِي السَّقِيمَ، وَيُحْيِي الرَّمِيمَ، إِذَا وَقَعَ مِنْ أَهْلِهِ مَعَ أَهْلِهِ فِي الوَقْتِ القَابِلِ لِذَلِكَ، وَالمَحَلِّ اللَّائِقِ بِهِ. وَهُوَ فِتْنَةٌ عَلَى المُسْتَمِعِ

بِالحَظِّ وَالهَوَى، وَعَلَى المُسَمِّعِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(السَّمَاعُ)**[1] الرَّحْمَانِيُّ وَهُوَ مَا يُطَابِقُ شَرْعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا السَّمَاعُ الشَّيْطَانِيُّ الَّذِي هُوَ حَظُّ المَطْرُودِينَ ، **(يُشْفِي السَّقِيمَ)** قَلْبُهُ بُحُجُبِ الأَغْيَارِ ، **(وَيُحْيِي الرَّمِيمَ)** المَيِّتَ قَلْبُهُ بِسُحُبِ الآثَارِ ، بِالأَنْوَارِ وَالأَسْرَارِ **(إِذَا وَقَعَ مِنْ أَهْلِهِ)** الَّذِي هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُسْمِعَ ، وَكُلُّ كَلَامٍ يَبْرُزُ وَعَلَيْهِ كُسْوَةُ صَاحِبِهِ ، **(مَعَ أَهْلِهِ)** الَّذِي هُوَ مِنَ اللَّهِ لِلَّهِ ، **(فِي الوَقْتِ القَابِلِ لِذَلِكَ)** وَلَيْسَ كُلُّ وَقْتٍ قَابِلٍ لَهُ ، **(وَالمَحَلِّ اللَّائِقِ بِهِ)** وَلَيْسَ كُلُّ مَحَلٍّ يَلِيقُ بِهِ.

(وَهُوَ فِتْنَةٌ عَلَى المُسْتَمِعِ) الَّذِي يَسْتَمِعُ **(بِالحَظِّ)** النَّفْسَانِيِّ **(وَالهَوَى)** الشَّيْطَانِيِّ **(وَعَلَى المُسْمِعِ)** القَوْلِ الَّذِي يُسْمَعُ **(عَلَى هَذَا الوَجْهِ)** أَيْ بِالحَظِّ وَالهَوَى ، وَنَصِيبُ السَّامِعِينَ وَالمُسْمِعِينَ فِي أَزْمِنَتِنَا هَذِهِ هُوَ الحَظُّ النَّفْسَانِيُّ وَالهَوَى الشَّيْطَانِيُّ ، وَقَلَّ مَنْ يَسْمَعُ وَيُسْمِعُ لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، أَيُّ شَيْءٍ أَدْخَلَ الشَّيْطَانَ عَلَى السَّفَلَةِ فِي الأَسْمَاعِ مِنَ الفِتْنَةِ وَالبِدْعَةِ ؟! .

٨٤ ــ لَابُدَّ لِلْإِنْسَانِ فِي الوُصُولِ إِلَى سَعَادَاتِ الآخِرَةِ مِنْ أَمْرَيْنِ:

*** أَحَدُهُمَا: الهِدَايَةُ وَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللهِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الغَيْثِ الَّذِي يُصِيبُ الأَرْضَ.**

*** وَالثَّانِي: السَّعْيُ إِلَى اللهِ عَلَى مِنْهَاجِ الاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الحَرْثِ**

---

(١) هو الإنشاد الديني الذي يدور حول حب الله وحب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لِلْأَرْضِ، وَتَعَهُّدِهَا بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ البَذْرِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالحِفْظِ، وَتَنْحِيَةُ المُؤْذِي، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

فَحَرْثُ الأَرْضِ دُونَ أَنْ يُصِيبَهَا السَّيْلُ عَنَاءٌ وَتَعَبٌ بِلَا حَاصِلٍ، وَإِصَابَةُ السَّيْلِ لَهَا مَعَ تَرْكِ الحَرْثِ إِضَاعَةٌ.

فَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللهِ كَالغَيْثِ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَذَلِكَ هُوَ الحَقِيقَةُ. وَالسَّعْيُ وَالاجْتِهَادُ الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ حَرْثِ الأَرْضِ وَتَعَهُّدِهَا إِلَى العَبْدِ، وَهُوَ كَسْبُهُ، وَعَنْهُ يُسْأَلُ، وَعَلَيْهِ يُجْزَى، وَذَلِكَ هُوَ الشَّرِيعَةُ.

(لَابُدَّ لِلْإِنْسَانِ فِي الوُصُولِ إِلَى سَعَادَاتِ الآخِرَةِ مِنْ أَمْرَيْنِ:

* **أَحَدُهُمَا: الهِدَايَةُ)** لِسَبِيلِ الخَيْرِ **(وَالتَّوْفِيقُ)** لِفِعْلِ الخَيْرَاتِ وَتَرْكِ السَّيِّئَاتِ **(مِنَ اللَّهِ)** الَّذِي بِيَدِهِ الهِدَايَةُ وَالتَّوْفِيقُ، **(وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الغَيْثِ الَّذِي يُصِيبُ الأَرْضَ)** فَيُحْيِيهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، وَعَلَيْهِ المَدَارُ.

* **(وَالثَّانِي: السَّعْيُ إِلَى اللهِ)** الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِالسَّعْيِ إِلَيْهِ **(عَلَى مِنْهَاجِ الاسْتِقَامَةِ)** عَلَى الطَّرِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، مِنْ غَيْرِ قُصُورٍ وَلَا انْحِرَافٍ فِي الأُصُولِ وَالفُرُوعِ.

(وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الحَرْثِ لِلْأَرْضِ) الَّتِي لَا تُنْبِتُ الزَّرْعَ بِمُجَرَّدِ وُقُوعِ الغَيْثِ عَلَيْهَا، **(وَتَعَهُّدِهَا بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ البَذْرِ)** الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الزَّرْعِ، **(وَالتَّرْبِيَةِ)** بِنَحْوِ الدِّمْنِ[1]، **(وَالحِفْظِ)** عَمَّا يَضُرُّ **(وَتَنْحِيَةُ المُؤْذِي)** الَّذِي لَا يَصْلُحُ بِهِ

(١) الدِّمْنُ: البَعَرُ.

الزَّرْعُ، (**إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ**) مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الزَّرْعِ.

(**فَحَرْثُ الأَرْضِ دُونَ أَنْ يُصِيبَهَا السَّيْلُ**) أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ (**عَنَاءٌ وَتَعَبٌ بِلَا حَاصِلٍ**)؛ إِذْ لَا تُنْبِتُ الأَرْضُ بِلَا مَاءٍ، (**وَإِصَابَةُ السَّيْلِ لَهَا مَعَ تَرْكِ الحَرْثِ إِضَاعَةٌ**) إِذْ لَا تُنْبِتُ بِلَا عِلَاجٍ.

(**فَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ كَالغَيْثِ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ مَدْخَلٌ**) بَلْ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْثِرُ بِهِ مَنْ يَخْتَارُهُ، (**وَذَلِكَ هُوَ الحَقِيقَةُ**) إِذْ فِي الحَقِيقَةِ الأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ.

(**وَالسَّعْيُ وَالاجْتِهَادُ**) فِيمَا أَمَرَ بِالاجْتِهَادِ فِيهِ (**الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ حَرْثِ الأَرْضِ وَتَعَهُّدِهَا إِلَى العَبْدِ، وَهُوَ كَسْبُهُ**).

وَحَلُّ هَذَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ فِي القَلْبِ قُوَّةَ إِرَادَةِ الخَيْرِ وَالاتِّصَافِ بِالعَقَائِدِ الحَقَّةِ، وَقُوَّةَ عَدَمِ إِرَادَةِ السُّوءِ وَعَدَمِ الاتِّصَافِ بِالعَقَائِدِ البَاطِلَةِ وَالمَعَارِفِ المُبْطلَةِ، وَجَعَلَ فِي أَعْضَائِهِ قُوَّةَ فِعْلِ الخَيْرَاتِ وَالانْصِرَافِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَكَلَّفَهُ مَا يُطِيقُهُ، فَمَنِ اسْتَعْمَلَ قُوَّتَهُ بِهَدَايَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ فِيمَا يَرْضَاهُ فَهُوَ الفَائِزُ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ المَلُومُ، وَلِلْعَبْدِ فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ اخْتِيَارٌ يُثَابُ عَلَيْهِ وَيُؤَاخَذُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يَخْلُقُ ذَلِكَ الاخْتِيَارَ.

(**وَعَنْهُ يُسْأَلُ**) يَوْمَ القِيَامَةِ (**وَعَلَيْهِ يُجْزَى**) يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ، (**وَذَلِكَ هُوَ الشَّرِيعَةُ**) الَّتِي لَابُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ حُدُودِهَا وَأَحْكَامِهَا، وَكُلُّ حَقِيقَةٍ تُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ فَهِيَ بَاطِلَةٌ، كَمَا أَنَّ كُلَّ شَرِيعَةٍ تُخَالِفُ الحَقِيقَةَ فَهِيَ مُعَطَّلَةٌ.

٨٥ ــ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ البَادِيَةِ المُخْوِفَةِ الكَثِيرَةِ السُّرَّاقِ وَالغُصَّابِ، وَالآخِرَةُ بِمَنْزِلَةِ المَدِينَةِ الخَصِيبَةِ الآمِنَةِ، وَالإِنْسَانُ خَرَجَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَأْخُذَ مِمَّا فِيهَا فَيُقَدِّمهُ لِلْآخِرَةِ.

فَالعَاقِلُ كُلَّمَا حَصَلَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْتِعَتِهَا قَدَّمَهُ أَمَامَهُ؛ لِيُحْفَظَ وَيَأْمَنَ عَلَيْهِ وَيَنْتَفِعَ بِهِ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ وَهُوَ الآخِرَةُ.

وَالجَاهِلُ يَحْتَبِسُ مَا مَعَهُ عِنْدَهُ بُخْلًا بِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَهُ الغُصَّابُ مِنْ يَدِهِ، وَهِيَ فِي المِثَالِ آفَاتُ الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يُسَافِرَ مِنَ البَادِيَةِ الَّتِي لَا قَرَارَ لَهُ بِهَا عَلَى القَهْرِ مِنْهُ، وَيُكَلَّفَ تَرْكَ مَا مَعَهُ، فَيَأْخُذُهُ مَنْ يَبْقَى فِي المَحَلِّ الَّذِي انْتَقَلَ عَنْهُ.

هَذَا مِثَالٌ عَجِيبٌ، فَلْيَفْهَمْهُ العَاقِلُ اللَّبِيبُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ: **(الدُّنْيَا)** الَّتِي هِيَ دَارُ الدَّوَاهِي وَالمِحَنِ **(بِمَنْزِلَةِ البَادِيَةِ المُخْوِفَةِ)** الَّتِي يُخَافُ فِيهَا، **(الكَثِيرَةِ السُّرَّاقِ)** الَّذِينَ يَسْرِقُونَ أَمْوَالَ مَنْ يَسْلُكُهَا **(وَالغُصَّابِ، وَالآخِرَةُ بِمَنْزِلَةِ المَدِينَةِ الخَصِيبَةِ الآمِنَةِ)** مِنَ السُّرَّاقِ وَالغُصَّابِ وَالقُطَّاعِ.

(وَالإِنْسَانُ خَرَجَ) مِنَ العَدَمِ **(إِلَى الدُّنْيَا)** بِالوُجُودِ **(لِيَأْخُذَ مِمَّا فِيهَا)** مِنَ الحَسَنَاتِ **(فَيُقَدِّمَهُ لِلْآخِرَةِ)** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وَقَالَ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠] وَقَالَ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

(**فَالعَاقِلُ**) الَّذِي يَخْتَارُ مَا يَنْبَغِي عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي، وَيَضَعُ الأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا، (**كُلَّمَا حَصَلَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْتِعَتِهَا قَدَّمَهُ أَمَامَهُ لِيُحْفَظَ**) لَهُ عَمَّا يَرُومُهُ بِالإِتْلَافِ، (**وَيَأْمَنَ عَلَيْهِ**) مِنَ الهَلَاكِ، (**وَيَنْتَفِعَ بِهِ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ وَهُوَ الآخِرَةُ**) أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى مَا قَدَّمَهُ إِلَيْهَا.

(**وَالجَاهِلُ**) الَّذِي يَخْتَارُ مَا لَا يَنْبَغِي عَلَى مَا يَنْبَغِي، وَيَضَعُ الأُمُورَ فِي غَيْرِ مَحَالِّهَا اللَّائِقَةِ بِهَا، (**يَحْتَبِسُ مَا مَعَهُ عِنْدَهُ بُخْلًا بِهِ**) لِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى مَا عِنْدَهُ، (**فَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَهُ الغُصَّابُ مِنْ يَدِهِ**) فَيَصِيرُ مُعْدَماً لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ، (**وَهِيَ فِي المِثَالِ آفَاتُ الدُّنْيَا**) الَّتِي يَنْهَلِكُ بِهَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى خَيْرِ الآخِرَةِ، (**وَإِمَّا أَنْ يُسَافِرَ مِنَ البَادِيَةِ الَّتِي لَا قَرَارَ لَهُ بِهَا عَلَى القَهْرِ مِنْهُ**) وَالغَصْبِ عَلَيْهِ، (**وَيُكَلَّفَ تَرْكَ مَا مَعَهُ، فَيَأْخُذُهُ مَنْ يَبْقَى فِي المَحَلِّ الَّذِي انْتَقَلَ عَنْهُ**) وَهُوَ فِي المِثَالِ المَوْتُ الَّذِي يَأْخُذُ بِرَقَبَةِ كُلِّ ذِي رُوحٍ، وَيَجُرُّهُ إِلَى حُفْرَةِ الظُّلُمَاتِ، مَسْلُوباً عَمَّا جَمَعَهُ، وَالخَائِبُ مَنْ يَكِدُّ وَيَجْمَعُ لِغَيْرِهِ، وَالوَبَالُ عَلَيْهِ.

(**هَذَا مِثَالٌ عَجِيبٌ، فَلْيَفْهَمْهُ العَاقِلُ اللَّبِيبُ**) ذُو عَقْلٍ خَالِصٍ عَنْ شَوَائِبِ الأَكْدَارِ؛ (**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٣]) أَيْ: وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا الأَغْبِيَاءُ الجَاهِلُونَ.

٨٦ ــ الخَوْفُ لَا يَنْتَفِي وَلَا يَذْهَبُ عَنِ المُؤْمِنِ وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الإِيمَانِ صَالِحَ العَمَلِ، بَلْ كُلَّمَا كَانَ الإِيمَانُ أَكْمَلَ وَالعَمَلُ أَصْلَحَ كَانَ الخَوْفُ أَعْظَمَ.

مِثَالُ ذَلِكَ: الإِنْسَانُ يَكُونُ مَعَهُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ الكَثِيرَةُ وَالأَقْمِشَةُ المَلِيحَةُ وَهُوَ مُسَافِرٌ فِي خَبْتٍ مَخُوفٍ أَوْ بَحْرٍ مُغْرِقٍ، فَالمَالُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الغِنَى وَالشَّرَفِ مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَيَشْتَدُّ خَوْفُهُ عَلَى فَوْتِهِ وَلَا يَخَافُ مَنْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَتِمُّ سُرُورُ صَاحِبِ هَذَا المَالِ بِمَالِهِ، وَيَنْتَفِي عَنْهُ الخَوْفُ حَتَّى يَصِلَ البَنْدَرَ وَيَتَيَقَّنَ السَّلَامَةَ.

فَالآخِرَةُ هِيَ بَنْدَرُ الأَمْنِ، وَالدُّنْيَا هِيَ البَحْرُ المُغْرِقُ وَالخَبتُ المُخُوفُ، وَالمُسَافِرُ هُوَ الإِنْسَانُ، وَالنُّقُودُ وَالأَقْمِشَةُ الَّتِي تَكُونُ مَعَهُ هِيَ المَعَارِفُ الإِيمَانِيَّةُ وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، وَالأُمُورُ الَّتِي يَخْشَى مِنْهَا فِي هَذَا السَّفَرِ عَلَى هَذِهِ الأَمْتِعَةِ الشَّرِيفَةِ هِيَ الشُّكُوكُ وَالآفَاتُ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتُفْسِدُهَا. نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(الخَوْفُ)** مِنَ اللَّهِ تَعَالَى **(لَا يَنْتَفِي، وَلَا يَذْهَبُ عَنِ المُؤْمِنِ)** الَّذِي آمَنَ بِأَنَّ رَبَّهُ سُلْطَانٌ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ وَلَا يُبَالِي، وَأَنَّ الأُمُورَ عَلَى الخَوَاتِيمِ، وَهِيَ عَلَى السَّوَابِقِ، وَهِيَ مَجْهُولَةٌ عِنْدَ الخَلَائِقِ، **(وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الإِيمَانِ)** ثَابِتَ القَدَمِ فِي الإِيقَانِ، رَاسِخَ العِرْفَانِ، **(صَالِحَ العَمَلِ، بَلْ كُلَّمَا كَانَ الإِيمَانُ أَكْمَلَ وَالعَمَلُ أَصْلَحَ كَانَ الخَوْفُ أَعْظَمَ)** إِذِ الخَوْفُ نَتِيجَةُ العِلْمِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وَلَا يَخَافُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ لَآلِئُ العَمَلِ وَجَوَاهِرُ الإِيمَانِ.

(مِثَالُ ذَلِكَ: الإِنْسَانُ يَكُونُ مَعَهُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ الكَثِيرَةُ وَالأَقْمِشَةُ

المَلِيحَةُ) الَّتِي الخَوْفُ عَلَيْهَا عَلَى قَدْرِ قِيمَتِهَا **(وَهُوَ مُسَافِرٌ فِي خَبْتٍ[1])** قَفْرٍ **(مُخْوِفٍ)** يُخَافُ فِيهِ مِنَ السُّرَّاقِ وَالقُطَّاعِ، **(أَوْ بَحْرٍ مُغْرِقٍ، فَالمَالُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الغِنَى وَالشَّرَفِ)** كَائِنٌ **(مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُعْتَدُّ بِهِ)** لِكَوْنِهِ فِي صَدَدِ الزَّوَالِ، **(وَيَشْتَدُّ خَوْفُهُ عَلَى فَوْتِهِ)** لِعِظَمِ فَائِدَتِهِ **(وَلَا يَخَافُ مَنْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ)** مِنْهَا؛ إِذْ لَا يَقْصِدُ القُطَّاعُ إِلَّا أَرْبَابَ الأَمْوَالِ، **(ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَتِمُّ سُرُورُ صَاحِبِ هَذَا المَالِ بِمَالِهِ، وَيَنْتَفِي عَنْهُ الخَوْفُ)** عَلَى مَالِهِ **(حَتَّى يَصِلَ البَنْدَرَ[2])** أَوْ لِمَأْمَنٍ **(وَيَتَيَقَّنَ السَّلَامَةَ)** عَلَى مَالِهِ.

كَذَلِكَ المُؤْمِنُ لَا يَزَالُ يَزْدَادُ خَوْفُهُ مَعَ ازْدِيَادِ خَيْرِهِ حَتَّى يَتَعَدَّى عَقَبَةَ المَوْتِ بِالسَّلَامَةِ **(فَالآخِرَةُ هِيَ بَنْدَرُ الأَمْنِ، وَالدُّنْيَا هِيَ البَحْرُ المُغْرِقُ وَالخَبْتُ المُخْوِفُ، وَالمُسَافِرُ هُوَ الإِنْسَانُ، وَالنُّقُودُ وَالأَقْمِشَةُ الَّتِي تَكُونُ مَعَهُ هِيَ المَعَارِفُ الإِيمَانِيَّةُ وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، وَالأُمُورُ الَّتِي يَخْشَى مِنْهَا فِي هَذَا السَّفَرِ عَلَى هَذِهِ الأَمْتِعَةِ الشَّرِيفَةِ هِيَ الشُّكُوكُ وَالآفَاتُ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتُفْسِدُهَا. نَسْأَلُ اللَّهَ العَافِيَةَ).**

٨٧ ــ تَذْهَبُ الدُّنْيَا شَيْئاً فَشَيْئاً، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَ بِهِ: **(تَذْهَبُ الدُّنْيَا)** الَّتِي خُلِقَتْ لِلْفَنَاءِ **(شَيْئاً فَشَيْئاً)** كَالشَّمْعَةِ أُوقِدَتْ فَتِيلَتُهَا، تَذْهَبُ شَيْئاً فَشَيْئاً **(حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ)**، فَخُذُوا

(١) الخَبْتُ: المتسعُ من الأرض.

(٢) البَنْدَرُ: الموضع الذي ترفأ فيه السفن، وهو ساحل كل نهر.

مِنَ الفَانِيَةِ مَا يَنْفَعُكُمْ فِي البَاقِيَةِ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الزَّادِ فَخَرَجُوا فُقَرَاءَ إِلَى المَعَادِ.

٨٨ ـ كَلَامُ أَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ نُورٌ وَبَرَكَةٌ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ فَصِيحٍ وَكَلَامُ أَهْلِ الرِّيَاءِ وَالتَّكَلُّفِ ظُلْمَةٌ وَوَحْشَةٌ وَإِنْ كَانَ فَصِيحاً.

(**كَلَامُ أَهْلِ الإِخْلَاصِ**) لِلَّهِ (**وَالصِّدْقِ**) مَعَ اللَّهِ تَعَالَى (**نُورٌ**) يُنَوِّرُ القُلُوبَ المُظْلِمَةَ، (**وَبَرَكَةٌ**) يَنْتَفِعُ بِهِ أَهْلُ السُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ (**وَإِنْ كَانَ غَيْرَ فَصِيحٍ**) وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ المُبَالَغَةُ فِي الفَصَاحَةِ.

(**وَكَلَامُ أَهْلِ الرِّيَاءِ وَالتَّكَلُّفِ ظُلْمَةٌ وَوَحْشَةٌ**) تَنْفُرُ عَنْهُ الطِّبَاعُ (**وَإِنْ كَانَ فَصِيحاً**) إِذْ كُلُّ كَلَامٍ يَخْرُجُ وَعَلَيْهِ كُسْوَةُ قَلْبِ صَاحِبِهِ، فَانْظُرْ إِلَى كَلَامِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالأَوْلِيَاءِ، وَإِلَى كَلَامِ البُلَغَاءِ وَالشُّعَرَاءِ.

٨٩ ــ مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بَصِيرَةٌ تَهْدِيهِ طَالَ تَعَبُ المُعَلِّمِينَ وَالمُؤَدِّبِينَ فِيهِ.

(**مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بَصِيرَةٌ**) نُورٌ قَلْبِيٌّ، (**تَهْدِيهِ**) إِلَى مَا يُرْشَدُ إِلَيْهِ، (**طَالَ تَعَبُ المُعَلِّمِينَ وَالمُؤَدِّبِينَ فِيهِ**)؛ إِذْ لِغَبَاوَتِهِ قَلَّمَا يَسْتَرْشِدُ بِإِرْشَادِهِمْ وَيَنْتَفِعُ بِتَعْلِيمِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ.

٩٠ ــ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى الحَقِّ وَأَهْلِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِالذُّلِّ لِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ مُصِيبَتَانِ وَعُقُوبَتَانِ، وَتَفُوتُهُ مَنْقَبَتَانِ وَمَثُوبَتَانِ.

(**مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى الحَقِّ**) بِأَنْ لَمْ يَعْتَقِدْهُ وَاحِداً، بَلْ أَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرَهُ، أَوْ لَمْ يَمْتَثِلْ مَا أَمَرَ بِهِ وَلَمْ يَتْرُكْ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، (**وَأَهْلِهِ**) مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَخُلَفَائَهُمْ مِنَ العُلَمَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ بِأَنْ لَمْ يُذْعِنْ لَهُمْ، (**ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالذُّلِّ لِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ**)؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَنِ اسْتَنْكَفَ مِنْ أَنْ يُوَحِّدَ خَالِقَهُ وَيَكُونَ عَبْدَهُ، جَعَلَهُ عَبْدَ عَبِيدِهِ وَذَلِيلًا لِرُسُومِ الكُفْرِ وَالشَّيْطَانِ، وَمَنْ عَصَاهُ جَعَلَهُ مُنْقَاداً لِلشَّرِّ وَعَبْدَ نَفْسِهِ وَالشَّيْطَانِ.

(**فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ مُصِيبَتَانِ**) مُصِيبَةُ التَّكَبُّرِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمُصِيبَةُ الذُّلِّ لِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، (**وَعُقُوبَتَانِ**) عُقُوبَةُ الذُّلِّ عِنْدَ الحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَعُقُوبَةُ الذُّلِّ لِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، (**وَتَفُوتُهُ مَنْقَبَتَانِ**) مَنْقَبَةُ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَأَهْلِهِ، وَمَنْقَبَةُ التَّكَبُّرِ عَلَى البَاطِلِ وَأَهْلِهِ، (**وَمَثُوبَتَانِ**) مَثُوبَةُ الدُّنْيَا بِالثَّنَاءِ، وَمَثُوبَةُ الآخِرَةِ بِالجَزَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٩١ ــ المُؤْمِنُ يَتَجَوَّزُ فِي العَادَاتِ، وَلَا يَتَجَوَّزُ فِي العِبَادَاتِ، وَالمُنَافِقُ يَتَجَوَّزُ فِي العِبَادَاتِ، وَلَا يَتَجَوَّزُ فِي العَادَاتِ.

(**المُؤْمِنُ**) الَّذِي هَمُّهُ الآخِرَةُ (**يَتَجَوَّزُ**) يَخْتَصِرُ (**فِي العَادَاتِ**) النَّفْسَانِيَّةِ، وَيَكْتَفِي مِنْهَا قَدْرَ الضَّرُورَةِ، (**وَلَا يَتَجَوَّزُ فِي العِبَادَاتِ**) وَلَا يَشْبَعُ مِنْهَا مَا دَامَ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ لِعِلْمِهِ بِفَوَائِدِهَا.

(وَالمُنَافِقُ) الَّذِي هَمُّهُ الدُّنْيَا (يَتَجَوَّزُ فِي العِبَادَاتِ) لِثِقْلِهَا لِعَدَمِ إِيمَانِهِ بِفَوَائِدِهَا، (وَلَا يَتَجَوَّزُ فِي العَادَاتِ) لِزَعْمِهِ أَنَّهَا هِيَ جَنَّتُهُ وَلَذَّتُهُ.

٩٢ ــ مَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ وِرْدٍ وَصَدَرٍ وَقَعَ مِنْهَا فِي البَلَايَا الكُبَرِ.

(مَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ) الأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ (فِي كُلِّ وِرْدٍ وَصَدَرٍ) أَيْ: فِي كُلِّ مَا تَأْتِي وَتَذَرُ (وَقَعَ مِنْهَا فِي البَلَايَا الكُبَرِ) فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّهِمَهَا فِي كُلِّ أَحْوَالِهَا وَلَا يُحَسِّنَ مَآلَهَا كَيْ يَنْجُوَ مِنْ وَبَالِهَا.

٩٣ ــ رُبَّ دَاعٍ إِلَى الهَوَى وَالطَّبِيعَةِ وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ.

(رُبَّ دَاعٍ إِلَى الهَوَى وَالطَّبِيعَةِ) مَعَ دَغَلٍ[1] فِي قَلْبِهِ (وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ)، وَهَذَا حَالُ مَنْ يَتَّبِعُ هَوَاهُ، وَيَجْعَلُ دِينَهُ تَبَعاً لِكُلِّ مَا يَهْوَاهُ، حَتَّى يَرَى الحَقَّ بَاطِلًا وَالبَاطِلَ حَقّاً، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ المُحِقّ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

٩٤ ــ العِلْمُ عَلَيْكَ حَتَّى تَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلْتَ بِهِ كَانَ العِلْمُ لَكَ.

(العِلْمُ عَلَيْكَ حَتَّى تَعْمَلَ بِهِ) لِلَّهِ تَعَالَى، (فَإِذَا عَمِلْتَ بِهِ كَانَ العِلْمُ) نَافِعاً

(١) الدَّغَلُ: الفسادُ.

(لَكَ)، وَلَا تَزْعُمَنَّ أَنَّهُ بِلَا عَمَلٍ عَلَيْهِ يَنْفَعُكَ، لَا يَسْتَوِي المُقَصِّرُونَ عَنْ عِلْمٍ وَالمُقَصِّرُونَ عَنْ جَهْلٍ، وَأَنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ عُذْرٌ فِي تَقْصِيرٍ.

٩٥ ــ مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الغَبْرَاءُ أَشَدَّ حَمَاقَةً مِمَّنْ يَعْلَمُ حُسْنَ شَيْءٍ وَهُوَ لَهُ تَارِكٌ وَيَعْلَمُ قُبْحَ شَيْءٍ وَهُوَ لَهُ فَاعِلٌ.

(مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ) أَيْ: السَّمَاءُ (وَلَا أَقَلَّتْ) رَفَعَتْ (الغَبْرَاءُ) أَيْ: الأَرْضُ (أَشَدَّ حَمَاقَةً مِمَّنْ يَعْلَمُ حُسْنَ شَيْءٍ وَهُوَ لَهُ تَارِكٌ) وَهُوَ العَالِمُ الَّذِي يَعْلَمُ حُسْنَ مَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَتْرُكُهُ، (وَيَعْلَمُ قُبْحَ شَيْءٍ وَهُوَ لَهُ فَاعِلٌ) وَهُوَ العَالِمُ الَّذِي يَعْلَمُ قُبْحَ مَا يُوجِبُ غَضَبَ اللَّهِ وَحِرْمَانَ ثَوَابِهِ وَالابْتِلَاءَ بِعِقَابِهِ ثُمَّ يَفْعَلُهُ، وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِنَا، نَسْأَلُ اللَّهَ العَفْوَ وَالغُفْرَانَ.

٩٦ ــ دَبِّرْ ثُمَّ افْعَلْ، فَكِّرْ ثُمَّ قُلْ.

(دَبِّرْ) الأَمْرَ الَّذِي تُرِيدُ فِعْلَهُ وَلَا تَعْرِفُ عَاقِبَتَهُ، (ثُمَّ افْعَلْ) إِنْ ظَهَرَ لَكَ رُشْدُهُ، وَمَنْ فَعَلَ أَمْراً مُبْهَماً مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ كَثِيراً مَا يَقَعُ فِي النَّدَمِ.

(فَكِّرْ) فِي القَوْلِ الَّذِي تُرِيدُ التَّكَلُّمَ بِهِ وَلَا تَعْلَمُ رُشْدَهُ مِنْ غَيِّهِ، (ثُمَّ قُلْ) إِنْ بَانَ لَكَ رُشْدُهُ. وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ تَفَوَّهَ مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ رَجَعَ قَوْلُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ.

٩٧ ــ كَفَى أَهْلَ الآخِرَةِ شَرَفاً أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُحِبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، وَكَفَى أَهْلَ الدُّنْيَا ضَعَةً أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُكْرَهُ أَنْ يُذْكَرَ فِي جُمْلَتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ.

(**كَفَى أَهْلَ الآخِرَةِ شَرَفاً**) فِي الدُّنْيَا (**أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ**) مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ (**يُحِبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِمْ**) لِيَتَشَرَّفَ بِشَرَفِهِمْ (**وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ**) حَقِيقَةً، (**وَكَفَى أَهْلَ الدُّنْيَا**) الَّذِينَ جَعَلُوهَا أَكْبَرَ هَمِّهِمْ وَمَبْلَغَ عُلُومِهِمْ (**ضَعَةً**) ذُلًّا وَهَوَاناً (**أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُكْرَهُ أَنْ يُذْكَرَ فِي جُمْلَتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ**).

٩٨ ــ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ أَنْ تَلْتَمِسَ مِنْ أَصْحَابِكَ الدُّنْيَا وَهُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكَ الآخِرَةَ.

(**مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ**) يَا أَيُّهَا المِسْكِينِ (**أَنْ تَلْتَمِسَ**) قَالًا وَحَالًا (**مِنْ أَصْحَابِكَ**) الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ لِيَنْتَفِعُوا بِكَ (**الدُّنْيَا**) المَلْعُونَةَ الَّتِي هِيَ نَصِيبُ الكُفَّارِ (**وَهُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكَ الآخِرَةَ**) وَهَذَا شَأْنُ أَكْثَرِنَا، نَسْأَلُ اللَّهَ العَفْوَ.

٩٩ ــ قِيمَةُ الإِنْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا: مَا يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ.

(**قِيمَةُ الإِنْسَانِ**) وَقَدْرُهُ (**عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَا يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ**) إِنْ أَخَذَ مِنْهُمْ مَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ طَمِعَ فِي دُنْيَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ.

١٠٠ ــ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَشِيرَ إِنْسَاناً فَقَدِّرْ أَنَّهُ يُشِيرُ عَلَيْكَ بِمُخَالَفَةِ مَا تُحِبُّ، فَإِنْ رَأَيْتَ امْتِثَالَهُ، وَإِلَّا فَدَعْ.

(إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَشِيرَ إِنْسَاناً) فِي شَيْءٍ أَهَمَّكَ (فَقَدِّرْ) فِي عَقْلِكَ (أَنَّهُ يُشِيرُ عَلَيْكَ بِمُخَالَفَةِ مَا تُحِبُّ، فَإِنْ رَأَيْتَ) فِي نَفْسِكَ (امْتِثَالَهُ) فِيمَا يُشِيرُ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ مُخَالِفاً لِمَا تُحِبُّ فَشَاوِرْهُ لِأَنَّ المُشَاوَرَةَ مَعَ أَهْلِ الخِبْرَةِ وَالعَقْلِ مَطْلُوبٌ، (وَإِلَّا) وَإِنْ لَمْ تَأْخُذْ بِرَأْيِهِ إِنْ أَشَارَ عَلَيْكَ مَا يُخَالِفُ هَوَاكَ (فَدَعْ) مُشَاوَرَتَهُ إِذْ لَا فَائِدَةَ فِيهَا.

١٠١ ــ رَأْيُ الإِنْسَانِ فَرْعُ عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَأْخُذُ بِهِ.

(رَأْيُ الإِنْسَانِ فَرْعُ) نَتِيجَةُ (عِلْمِهِ) المُحْكَمِ (وَعَقْلِهِ) الرَّاسِخِ، (فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَأْخُذُ بِهِ)، وَمَثَلُ مَنْ يَضَعُ رَأْيَهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَأْخُذُ بِهِ مَثَلُ مَنْ يُعَلِّقُ الجَوَاهِرَ فِي رِقَابِ الخَنَازِيرِ.

١٠٢ ــ مَنْ سَلَكَ مَلَكَ، وَمَنْ حَادَ هَلَكَ.

(مَنْ سَلَكَ) سُبُلَ الخَيْرِ جَانِباً عَنْ طُرُقِ الضَّيْرِ (مَلَكَ) مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ مَحْفُوظاً عَمَّا يَضُرُّهُ، (وَمَنْ حَادَ) مَالَ مِنْ طُرُقِ الهُدَى إِلَى سُبُلِ الرَّدَى (هَلَكَ) فِي حُفَرِ الغِوَايَةِ مَحْرُوماً عَنْ نَجَاةِ الهِدَايَةِ.

١٠٣ ــ مَنْ حَفِظَ الفُؤَادَ، حُفِظَ مِنَ الفَسَادِ.

(مَنْ حَفِظَ الفُؤَادَ) عَمَّا لَا يَنْبَغِي (حُفِظَ مِنَ الفَسَادِ) فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ.

١٠٤ ــ مَنْ حَفِظَ الجَوَارِحَ، أَمِنَ الجَوَائِحَ.

(مَنْ حَفِظَ الجَوَارِحَ) عَمَّا لَا يَنْبَغِي (أَمِنَ الجَوَائِحَ) الآفَاتِ.

١٠٥ ــ كَادَ العَاقِلُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ عَدُوٌّ، وَكَادَ الأَحْمَقُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ.

(كَادَ العَاقِلُ) الَّذِي يَجْلِبُ أَفْئِدَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ لِكَمَالِ حِلْمِهِ وَعَفْوِهِ وَكَرَمِهِ وَتَسَامُحِهِ وَتَحَفُّظِهِ فِي أَمْرِهِ، وَعَدَمِ تَعَرُّضِهِ لِمَا لَا يَنْبَغِي (أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ عَدُوٌّ) إِذْ قَلَّ مَنْ يُعَادِي حَتَّى يُعَادَى، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الحُمَقَاءِ يُعَادُونَ بَعْضَ العُقَلَاءِ لِحُمْقِهِمْ لَا لِسَبَبٍ مِنْهُمْ. (وَكَادَ الأَحْمَقُ) الَّذِي يَجْرَحُ قُلُوبَ النَّاسِ بِحُمْقِهِ (أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ)، فَالعَاقِلُ مُسْتَرِيحٌ مِنْ تَعَبِ الأَعْدَاءِ، وَالأَحْمَقُ مُعَذَّبٌ بِهِ.

١٠٦ ــ فِي أَسْفَارِ الأَرْبَاحِ رَاحَةُ الأَرْوَاحِ، وَفِي أَسْفَارِ الأَخْطَارِ تَعَبُ الظَّوَاهِرِ وَالأَسْرَارِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

(فِي أَسْفَارِ الأَرْبَاحِ رَاحَةُ الأَرْوَاحِ) أَيْ: فِي تَحَمُّلِ أَثْقَالِ الطَّاعَاتِ رَاحَةُ الأَرْوَاحِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ المَثُوبَاتِ، (وَفِي أَسْفَارِ الأَخْطَارِ) أَيْ: فِي ارْتِكَابِ

السَّيِّئَاتِ (**تَعَبُ الظَّوَاهِرِ**) بِأَنْوَاعِ العَذَابِ (**وَالأَسْرَارِ**) بِأَقْسَامِ الغُمُومِ، (**وَاللَّهُ أَعْلَمُ**).

لَا يَخْلُو مَا كَتَبْتُ مِنَ الخَلَلِ لِسَقَمٍ فِي الأَصْلِ، وَلَا يَخْلُو فَهْمِي وَقَلْبِي مِنَ الزَّلَلِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَنَعُوذُ بِكَ مِمَّا تَكْرَهُ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى حَبِيبِنَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ، آمِينَ.

كمل شرح سيدنا ومولانا وشيخنا سيدي محمد حياة السندي ثم المدني على حكم الشيخ الحداد غفر الله لهما، ولكاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى عبد السلام بن علي المفتي وقت التاريخ بقابس أواسط محرم عام سبعة وستين ومائة وألف (١١٦٧هـ) والحمد لله رب العالمين.

ويقول الفقير إلى ربه الهادي نزار بن علي حمادي: قد أكملت بفضل الله تعالى صف هذا المخطوط المبارك ومقارنته بأصله والعناية به في ليلة ٢٦ من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٣٢هـ، الموافق ليوم ٢٦ أوت لسنة ٢٠١١م بتونس العاصمة، جعله الله تعالى عملا خالصا لوجهه الكريم، ونفعني به وجميع المسلمين، آمين.

فهرس الآيات القرآنية

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] ٦٨
﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة: ١٨٧] ٥٠
﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦] ..... ٢٦، ٩٠
﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ٥١
﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣] ٦٦
﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] ٧٩
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ٧٧
﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] ٩٢
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ..... ٢٨، ٩٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ...﴾ [التوبة: ١١١] ٩٥
﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] ٧٠
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ٤٣
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ﴾ [طه: ١٣١] ٧٣
﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] ٤٥
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ...﴾ [العنكبوت: ٤٣] ٣١
﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] ..... ١٥، ٤٥
﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ٥٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩] ٥٢
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ٥٤
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] ٥٤
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ٥٤
﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] ٦٨
﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] ٦٨
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ٣١
﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ...﴾ [الحج: ٥] ٢٦
﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] ٢٦
﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] ٩٦
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] ١٠٨
﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠] ١٠٩
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] ١٠٩
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] ١١٠
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ ـ ١٧] ٧٢

فهرس الأحاديث النبوية

«إِنَّ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ سِخْلَةٍ مَيِّتَةٍ» ٧١
«تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ» ٦٠
«الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ» ٥٠
«مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ» ٦٥
«مُعَلِّمُ العِلْمِ غَيْرَ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الخَنَازِيرِ الدُّرَّ» ٦٢
«مَنْ رَعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ» ٥٦
«مَنْ رَتَعَ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ» ٨٧
«وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ» ٧٩

** ** **

فهرس أطراف الحكم

١ ـ الخَلْقُ مَعَ الحَقِّ لاَ يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ فِي إِحْدَى الدَّائِرَتَيْنِ ٤٢
٢ ـ مَا تَرَكَ مِنَ الكَمَالِ شَيْئًا مَنْ أَقَامَ نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ مَقَامَ عَبْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ. ٤٤
٣ ـ النَّائِمُ يُوقَظُ، وَالغَافِلُ يُذَكَّرُ، وَمَنْ لَمْ يُجْدِ فِيهِ التَّذْكِيرُ وَلاَ التَّنْبِيهُ فَهُوَ مَيِّتٌ. ٤٤
٤ ـ إِنَّمَا تَنْفَعُ المَوْعِظَةُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا بقَلْبِهِ ٤٥
٥ ـ كَيْفَ يَكُونُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يُرْضِي المَخْلُوقِينَ بِسَخَطِ رَبِّ العَالَمِينَ؟! ٤٥
٦ ـ العَادَةُ إِذَا رَسَخَتْ نَسَخَتْ ٤٦
٧ ـ لاَ تَدُومُ مَعَ الكُلْفَةِ أُلْفَةٌ ٤٦
٨ ـ مَنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ الفَقْرَ قَلِيلُ المَالِ، لَمْ يُحَصِّلْ لَهُ الغِنَى كَثِيرُهُ ٤٧
٩ ـ مُنَازِعُ الأَقْدَارِ: مَنِ اسْتَقْبَحَ مِنْ أَخِيهِ مَا لاَ يَدْخُلُ تَحْتَ الاخْتِيَارِ ٤٨
١٠ ـ الرِّضَى بِالقَضَاءِ يَنْتَفِي مَعَهُ الاعْتِرَاضُ عَلَى اللَّه ٤٩
١١ ـ الدُّنْيَا المَحْمُودَةُ: هِيَ الَّتِي يَصِلُ بِهَا إِلَى فِعْلِ خَيْرٍ ٤٩
١٢ ـ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكْتَفِي بِالإِشَارَةِ عَنِ التَّعْيِينِ ٥١

١٣ ـ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ حُرّاً فَاتْرُكْ كُلَّ أَمْرٍ إِنْ لَمْ تَتْرُكْهُ اخْتِيَاراً تَرَكْتَهُ اضْطِرَاراً ٥٣

١٤ ـ مَا عُرِفَ قَدْرُ الشَّيْءِ بِمِثْلِ ضِدِّهِ ٥٣

١٥ ـ مَنْ شَغَلَهُ حَقُّ رَبِّهِ عَنْ حُقُوقِ نَفْسِهِ وَحُقُوقِ إِخْوَانِهِ فَهُوَ عَبْدُ الحَضْرَةِ..... ٥٣

١٦ ـ عَجَبًا لِمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَهُوَ مِنْ تَحْصِيلِهَا عَلَى وَهْمٍ ٥٥

١٧ ـ مَنْ تَعَوَّدَ الغَرَائِمَ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الغَنَائِمِ. ٥٥

١٨ ـ إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى شَهْوَةٍ وَشَغَلَتْكَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ: أُجِيبُهَا ٥٦

١٩ ـ لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَجِدَ فِي مُعَامَلَةِ الحَقِّ ٥٧

٢٠ ـ المَؤُونَةُ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ أَقَلُّ مِنَ المَؤُونَةِ فِي تَخَوُّفِ إِفْشَائِهِ ٥٧

٢١ ـ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ الرَّجُلِ: ثَنَاؤُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ..... ٥٨

٢٢ ـ الدُّنْيَا شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا: حُبُّ المَالِ. وَالآخَرُ: حُبُّ الجَاهِ ٥٩

٢٣ ـ الأَرَاضِي ثَلاَثٌ أَرْضٌ إِذَا سُقِيَتْ أَنْبَتَتِ العُشْبَ وَالكَلأَ..... ٦٠

٢٤ ـ لاَ تَثْبُتُ الدَّعَاوِي بِالأَقْوَالِ حَتَّى تَقُومَ بِإِثْبَاتِهَا البَيِّنَةُ مِنَ الأَفْعَالِ. ... ٦٢

٢٥ ـ إِذَا ادَّعَتْ نَفْسُكَ أَنَّهَا لاَ تُفَرِّقُ بَيْنَ وُجُودِ الشَّيْءِ وَعَدَمِهِ..... ٦٢

٢٦ ـ لَوْلاَ العَلاَمَات لَادَّعَى كُلُّ أَحَدٍ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ ٦٣

٢٧ ـ مَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ مَطَالِبُهُ الأُخْرَاوِيَّةُ وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الدُّنْيَاوِيَّةُ ٦٤

٢٨ ـ شَرُّ الفُقَرَاءِ مَنْ يَوَدُّ أَنَّهُ مِنَ الأَغْنِيَاءِ..... ٦٥
٢٩ ـ مَنْ أَمْسَكَ عَنْ تَنَاوُلِ فُضُولِ الشَّهَوَاتِ ٦٦
٣٠ ـ لاَ يَكْمُلُ حَالُ الدَّاعِي إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى ٦٧
٣١ ـ إِذَا رَأَيْتَ العَالِمَ يُفِيدُ بِقَوْلِهِ دُونَ فِعْلِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ نَاقِصٌ ٦٧
٣٢ ـ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوصَفَ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ ٦٩
٣٣ ـ كَثِيراً مَا يَلْتَبِسُ الحَيَاءُ المَحْمُودُ بِالجُبْنِ المَذْمُومِ..... ٦٩
٣٤ ـ مَنْ أَهْمَلَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَخَافُ اسْتَعْمَلَ الكَذِبَ حَيْثُ يَرْجُو..... ٧٠
٣٥ ـ مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ رَأَى غُرُوراً وَزُوراً..... ٧٠
٣٦ ـ فِي الحِرْصِ عَلَى المَالِ هَلَاكُ الدِّينِ..... ٧١
٣٧ ـ لَيْسَ وَاضِعُ المَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ بِأَقَلَّ إِثْماً مِنْ مُمْسِكِهِ مِنْ حَقِّهِ..... ٧٢
٣٨ ـ مَنْ أَمْسَكَ شَيْئاً يَرَى أَنَّ إِنْفَاقَهُ خَيْرٌ مِنْ إِمْسَاكِهِ فَهُوَ مِنَ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا..... ٧٢
٣٩ ـ مُشَاهَدَةُ المُؤْثِرِينَ لِلدُّنْيَا تَمْحُو حُبَّ الآخِرَةِ مِنَ القَلْبِ ٧٢
٤٠ ـ كَفَى بِفِقْدَانِ الرَّغْبَةِ فِي الخَيْرِ مُصِيبَةً..... ٧٣
٤١ ـ مَنْ تَرَكَ الجَزْمَ لِلْوَهْمِ فَهُوَ أَحْمَقُ..... ٧٤
٤٢ ـ يَنْبَغِي أَنْ يَدُورَ كَلَامُ العَالِمِ بِاللَّهِ مَعَ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ.. ٧٤

٤٣ ـ رَحْمَةٌ تَطْلُبُكَ، وَرَحْمَةٌ تَطْلُبُهَا ٧٥
٤٤ ـ دَوَاعِي الحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ ٧٦
٤٥ ـ أَجْهَلُ الجَاهِلِينَ مَنْ تَزِيدُهُ المَعْرِفَةُ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ جُرْأَةً عَلَى مَعَاصِيهِ ٧٧
٤٦ ـ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ قَبْلَ الوُقُوعِ فِيهِ دَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى فِعْلِهِ ٧٧
٤٧ ـ مَثَلُ الَّذِي يُذْنِبُ لِيَتُوبَ مَثَلُ الَّذِي يُدَنِّسُ بَدَنَهُ وَثِيَابَهُ لِيَغْتَسِلَ ٧٨
٤٨ ـ مَثَلُ الأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ مَثَلُ الشَّجَرَةِ تُسْقَى بِمَاءِ التَّزَاوُرِ وَتُثْمِرُ التَّعَاوُنَ .. ٧٨
٤٩ ـ إِذَا عَمِلْتَ الطَّاعَةَ فَانْظُرْ إِنْ شِئْتَ فِي بِدَايَتِهَا ٧٩
٥٠ ـ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ: التَّوَاضُعُ فِي الرِّفْعَةِ ٨١
٥١ ـ العَاقِلُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ كَالرَّشِيدِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ٨١
٥٢ ـ سَخِّرْ عَقْلَكَ لِعِلْمِكَ، وَسَخِّرْ نَفْسَكَ لِعَقْلِكَ ٨٢
٥٣ ـ مَا الشَّأْنُ فِي شُهُودِ التَّقْصِيرِ فِي التَّقْصِيرِ ٨٢
٥٤ ـ يَكُونُ الخَيْرُ فِي الأَكْثَرِ شَاقّاً فِي الحَالِ، حُلْواً فِي المَآلِ ٨٢
٥٥ ـ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَدَّ بِأُخُوَّةِ أَخٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَلَا يَفْعَلُ ٨٣
٥٦ ـ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْطَفِيَ إِنْسَاناً لِنَفْسِكَ ٨٣
٥٧ ـ لَا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَطِيعُ القِيَامَ بِحُقُوقِهِ ٨٤

٥٨ ـ مَنْ عَوَّلَ فِي إِسْقَاطِ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ عَلَى قَبُولِ العُذْر ٨٤
٥٩ ـ أَكْرِمْ إِخْوَانَكَ إِكْرَاماً تَسْتَطِيعُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ ٨٤
٦٠ ـ التَّأْوِيلُ عَلَى ضَرْبَيْنِ..... ٨٥
٦١ ـ مَنْ أَفْرَطَ فِي حُبِّ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا المُبَاحَةِ ٨٧
٦٢ ـ تَخَاصَم العَجْزُ وَالحِرْمَانُ أَيُّهُمَا أَضَرُّ عَلَى صَاحِبِهِ ٨٨
٦٣ ـ مَا مِنْ طَوِيَّةٍ، إِلَّا وَفِيهَا خَفِيَّةٌ..... ٨٨
٦٤ ـ إِذَا صَلُحَتِ المَقَاصِدُ، لَمْ يَخِبِ القَاصِدُ..... ٨٨
٦٥ ـ الشَّيْطَانُ عَلَى إِضْلَالِ العَالِمِ أَحْرَصُ مِنْهُ عَلَى إِضْلَالِ الجَاهِلِ ٨٩
٦٦ ـ مَنْ أَصْلَحَ نِيَّتَهُ، بَلَغَ أُمْنِيَّتَهُ..... ٨٩
٦٧ ـ يَصْعُبُ سُلُوكُ سَبِيلِ النَّجَاةِ عَلَى مَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ حُبُّ المَالِ وَالجَاهُ..... ٨٩
٦٨ ـ الخَوْفُ الصَّادِقُ يَعْمَلُ فِي مَحْوِ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ..... ٩٠
٦٩ ـ يَنْبَغِي أَنْ تُوقِدَ لَكَ سِرَاجاً مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ ٩١
٧٠ ـ كَفَى بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ مَثُوبَةً وَكَفَى بِحِرْمَانِ الجَنَّةِ عُقُوبَةً..... ٩٢
٧١ ـ العَالَمُ بِأَسْرِهِ مُتَلَاشٍ وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ لَا شَيْءَ..... ٩٣
٧٢ ـ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ بِكَ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ ٩٣

٧٣ ـ الإِفْرَاطُ فِي الأَمْرِ آيَةٌ عَلَى المَصِيرِ فِيهِ إِلَى التَّفْرِيطِ ٩٣
٧٤ ـ مَنْ مَدَحَكَ عِنْدَ رِضَائِهِ بِمَا لَيْسَ فِيكَ، ذَمَّكَ لَا مَحَالَةَ عِنْدَ غَضَبِهِ عَلَيْكَ ٩٤
٧٥ ـ الذِّكْرُ لِلَّهِ مَغْنَاطِيسُ القُلُوبِ ٩٥
٧٦ ـ لَا يَطْمَعُ فِي بُلُوغِ الآمَالِ وَالأَوْطَارِ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْ نَفْسَهُ..... ٩٥
٧٧ ـ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُخَاطِبَ الجَاهِلَ الَّذِي يَظُنُّ بِنَفْسِهِ العَقْلَ أَصْلاً .. ٩٦
٧٨ ـ مَنْ أَرْضَاكَ بِمَا يَضُرُّكَ فِي دِينِكَ كَالمُدَاهَنَةِ لَكَ وَعَدَمِ النُّصْحِ وَالتَّبْصِيرِ بِالعُيُوبِ فَهُوَ لَكَ عَدُوٌّ..... ٩٦
٧٩ ـ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْكُرَهُ النَّاسُ وَيُثْنُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الكَمَالِ وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ خِلَافَهُ..... ٩٨
٨٠ ـ الإِيمَانُ شَجَرَةٌ ثَابِتَةٌ فِي أَرْضِ القَلْبِ ٩٩
٨١ ـ الدُّنْيَا تُنَادِي عَلَى نَفْسِهَا بِلِسَانِ الحَالِ خِطَاباً لِلرَّاغِبِينَ فِيهَا: احْذَرُونِي..... ١٠٢
٨٢ ـ الكَمَالُ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ..... ١٠٣
٨٣ ـ السَّمَاعُ يُشْفِي السَّقِيمَ، وَيُحْيِي الرَّمِيمَ، إِذَا وَقَعَ مِنْ أَهْلِهِ ١٠٤
٨٤ ـ لَابُدَّ لِلْإِنْسَانِ فِي الوُصُولِ إِلَى سَعَادَاتِ الآخِرَةِ مِنْ أَمْرَيْنِ..... ١٠٥
٨٥ ـ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ البَادِيَةِ المُخُوفَةِ الكَثِيرَةِ السُّرَّاقِ وَالغُصَّابِ ١٠٨

٨٦ ـ الخَوْفُ لَا يَنْتَفِي وَلَا يَذْهَبُ عَنِ المُؤْمِنِ وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الإِيمَانِ.... ١٠٩
٨٧ ـ تَذْهَبُ الدُّنْيَا شَيْئاً فَشَيْئاً، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ. ١١١
٨٨ ـ كَلَامُ أَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ نُورٌ وَبَرَكَةٌ ١١٢
٨٩ ـ مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بَصِيرَةٌ تَهْدِيهِ طَالَ تَعَبُ المُعَلِّمِينَ وَالمُؤَدِّبِينَ فِيهِ. ١١٢
٩٠ ـ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى الحَقِّ وَأَهْلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالذُّلِّ لِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ ١١٣
٩١ ـ المُؤْمِنُ يَتَجَوَّزُ فِي العَادَاتِ، وَلَا يَتَجَوَّزُ فِي العِبَادَاتِ ١١٣
٩٢ ـ مَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ وِرْدٍ وَصَدَرٍ وَقَعَ مِنْهَا فِي البَلَايَا الكُبَرِ. .. ١١٤
٩٣ ـ رُبَّ دَاعٍ إِلَى الهَوَى وَالطَّبِيعَةِ وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ..... ١١٤
٩٤ ـ العِلْمُ عَلَيْكَ حَتَّى تَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلْتَ بِهِ كَانَ العِلْمُ لَكَ..... ١١٤
٩٥ ـ مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الغَبْرَاءُ أَشَدَّ حَمَاقَةً مِمَّنْ يَعْلَمُ حُسْنَ شَيْءٍ وَهُوَ لَهُ تَارِكٌ..... ١١٥
٩٦ ـ دَبِّرْ ثُمَّ افْعَلْ، فَكِّرْ ثُمَّ قُلْ..... ١١٥
٩٧ ـ كَفَى أَهْلُ الآخِرَةِ شَرَفاً أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُحِبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِمْ ١١٦
٩٨ ـ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ أَنْ تَلْتَمِسَ مِنْ أَصْحَابِكَ الدُّنْيَا وَهُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكَ الآخِرَةَ..... ١١٦
٩٩ ـ قِيمَةُ الإِنْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا: مَا يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ ١١٦

١٠٠ ـ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَشِيرَ إِنْسَاناً ١١٧
١٠١ ـ رَأْيُ الإِنْسَانِ فَرْعُ عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ ١١٧
١٠٢ ـ مَنْ سَلَكَ مَلَكَ، وَمَنْ حَادَ هَلَكَ..... ١١٧
١٠٣ ـ مَنْ حَفِظَ الفُؤَادَ، حُفِظَ مِنَ الفَسَادِ..... ١١٨
١٠٤ ـ مَنْ حَفِظَ الجَوَارِحَ، أَمِنَ الجَوَائِحَ ١١٨
١٠٥ ـ كَادَ العَاقِلُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ عَدُوٌّ ١١٨
١٠٦ ـ فِي أَسْفَارِ الأَرْبَاحِ رَاحَةُ الأَرْوَاحِ ١١٨